٢٥٧

HARLEQUIN

روايات احلام

أسوار الذهب

جين بورتر

www.elromancia.com
مرمورية

أسوار الذهب

أول ما وقعت عينا كريستوس على أليسيا، أقسم أن يجعلها زوجته. بعد ذلك بعشر سنوات، سنحت لكريستوس الفرصة لتحقيق قسمه فقد عرض والد أليسيا عليه الزواج بابنته مقابل مساندة كريستوس له مالياً. لكن بعد العرس، اكتشف كريستوس أن أليسيا التي أصبحت زوجته تبعاً لهذه الصفقة، تزوجته رغماً عنها..

www.elromancia.com
مرموريا

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١,٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال
البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٦ جنيه
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-094-X

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

Christos's Promise

First published in Great Britain 2001

Harlequin Mills & Boon Limited

© Jane Porter 2001

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 094 - X

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٤٥٠٩٥٠-١-٩٦١- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص

أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ ـ له مهما كان الثمن

ـ أتفضلين البقاء حبيسة في الدير على الزواج مني؟.

قال «كريستوس» هذا غير مصدق. كيف تفضل هذه الفتاة، أو المرأة البالغة الخامسة والعشرين، كما يدعي أبوها، أن تعيش متقشفة في دير، على الزواج منه؟

إنه ليس همجياً، بالمقارنة مع الرجال اليونانيين الذين نشأت بينهم، بل إنه على العكس من ذلك، متمدن كثيراً.

ردت أليسا ليموس ببرود: «سبق أن علمت جوابي، وما كان لك أن تضيّع وقتك بالمجيء.

أدار ظهره للراهبة الواقفة في الجوار، حتى لا تتمكن من الإصغاء. فقد كلفت رئيسة الدير أن يرافقها أثناء اجتماعها به، ولكن ذلك لا يبيح لها الاستماع لحديثهما الخاص.

ـ هل أخبرت أباك برفضي؟ فأنت لم تخبريني، أنا، بذلك حتى.

كان نادراً ما يرفع صوته إذ لم يكن بحاجة لذلك. لأن حجمه وسلطته كانا، عادة، كافيين للإقناع. لكن أليسا ليموس رفعت حاجبيها: «ربما يتملك الغرور بعض النساء لهذا الإلحاح منك. إنما ليس أنا».

ـ جوابك إذن هو..؟.

تزامنت ضحكة إليسيا المتشككة مع بريق عينيها السوداوين: «أنا أعلم أنك أميركي، ولكن من المؤكد أنك لست أحمق إلى هذا

الحد».

قد يؤذي كلامها هذا رجلاً أقل غروراً منه، لكنه ليس مجرد رجل عادي، وأليسيا ليست مجرد فتاة عادية، إنه بحاجة إليها، وهو لن يغادر «أونوساي» من دونها.

ـ ألا تحبين الأميركيين؟.

ـ أبداً.

ـ هذا حسن، وربما سيسهّل هذا مهمتنا عندما ننتقل إلى نيويورك.

تقابلت أعينهما وقد شحب لونها فجأة: «أنا لن أنتقل من هنا أبداً كما أنني لا أوافق أبداً على زواج مصلحة».

لم يهتم بقولها هذا، وأجاب: «إذا كنت قلقة، فأنا أعتبر نفسي يونانياً، أبواي ولدا هنا، في «أونوساي»، وهما ما زالا يعتبران هذا المكان وطناً لهما».

ـ آه، يا لهما من إنسانين سعيدين!

كاد يبتسم، فلا عجب في أن أباها داريوس قد عانىٰ من الإحباط، فهي لا ترغب أن تصبح عروساً يوماً. أضاف: «لا أدري إن كان سيسرّهما أن تكوني كنتهما، لكنهما سيتقبلان ذلك حتماً».

ـ أنا واثقة من أن أمك شغوف بك.

ـ بلا حدود، فالأمهات اليونانيات، يعشن غالباً لأجل أبنائهن.

ـ بينما البنات منبوذات.

لم يبد عليه أنه لاحظ الألم في صوتها، وهي تقول ذلك بمرارة.

ـ ولكن بناتي سيكنّ مدللات.

كان في السابعة والثلاثين وبحاجة إلى زوجة، كما أن داريوس ليموس كان بحاجة إلى زوج لابنته العنيدة. ومثل هذا لم يكن زواج حب، بل صفقة هيأ لها، في بنك في سويسرا.

ـ أنا ابن وحيد لوالديّ، آخر فرد ذكر في فرع أسرتنا، وقد وعدتهما بأن يكون لهما حفيد قبل عيد ميلادي التاسع والثلاثين، وسألده.

ـ لا، بل أنت ترجو أن أكون أنا التي سألد.

عض شفته كيلا يبتسم: «أنا أحتمل أن يصحح لي الآخرون كلامي».

تقبضت يدا أليسيا. وتمنت لو تصفع ابتسامته المغرورة فتمحوها عن وجهه المتغطرس. لم تعرف قط رجلاً مثله ثقة بالنفس، سوى أبيها فقط.

ابتلعت ريقها بتشنج وهي تحاول أن تفهم سبب عبوره المحيط الأطلسي ليبحث لها عن عريس. فقد كان أبوها يحتقر حديثي النعمة، ولا بد أنه كان يشعر باليأس. حسناً، وكذلك هي. فقد كان يعرضها بالمزاد العلني. يعرض وريثته الوحيدة لمن يدفع أكثر.

غالبت دموعاً ساخنة اندفعت في عينيها.. ما كانت أمها لتسمح لأبيها بأن يفعل هذا.

ـ هناك عرسان أسوأ، يا آنسة ليموس.

شعرت بسخرية لكنها لم تبتسم: «الزوج هو الزوج، وأنا لا أريد زوجاً».

ـ أكثر النساء يردن الزواج. إنه أمنية كل امرأة يونانية.

ـ أنا لست أكثر النساء.

ضحك بفظاظة: «هذا قولك أنت، لكنني أسمع أن النساء متشابهات، كلكن لديكن أحلام».

ـ أليس لديكم أنتم؟.

ـ أحلامي أنا واضحة، أريد أطفالاً. أنا بحاجة إلى أطفال.

وأخذ يتفحصها وكأنها فرس: «أنت شابة، وستكونين أماً

ممتازة».

قالت بجفاء: «لا أريد أن أكون أماً».

قالت هذا بجفاء. فهز كتفيه دون اهتمام:

ـ يمكننا أن نتزوج اليوم.. هنا. وحدنا فأنا أخشى أن لا يكون والدك موجوداً.

ـ يا للفضيحة!

فلوى شفتيه بدهشة وشيء من الفضول: «أنت تتكلمين كالبحارة».

ـ لأنني أقرب ما يكون من أعمال أبي.

ـ هل تهتمين بإدارة الأعمال؟.

ـ أنا أهتم بعملي.

ليس العمل الذي شغف به أبوها أكثر من أي شيء آخر. لم يسمح لشيء بأن يقف بينه وبين سفنه. لم يسمح لأحد بأن يتدخل في أعمال «اليموس» الكبرى حتى أمها.

قال لها بعد هنيهة:

«أظن أنّ العمل سيصيبك بالسأم. مناقشاته، عقوده، أرقامه، شحناته المملة..».

ـ بالنسبة إلى عقلي الصغير؟.

التمعت عيناه وابتسم للهجتها الساخرة، وقال ببشاشة:

ـ لا تصغي إلى كل ما يقوله أبوك. إصغي فقط للأشياء الجيدة التي يقولها عني.

كان بإمكانها أن تصفعه بسهولة، فهي تعلم جيداً سبب رغبة «كريستوس باتيراس» في الزواج منها. كان طامعاً في بائنتها وأعمال أبيها. عندما يموت أبوها داريوس، فسيرث «كريستوس» إمبراطورية «اليموس». قالت له: «أراك واثقاً من نفسك أكثر مما ينبغي».

ـ هذا ما يقوله نقّادي.

ـ هل هم كثيرون؟.

ـ كثيرون جداً.

أشاحت بوجهها وهي تصرّ بأسنانها. إنه يمزح، دون ريب، ويعبث بها كما تعبث القطة بالفأر. جاهدت أن تتحكم في طبعها، وتوتر فكها الناعم.

ـ أنت مجنون إذا كنت تفكر في أنني سأتزوجك.

ـ لقد وافق أبوك على الزواج، وقد تسلمت البائنة.

ـ أعدها إليه!.

ـ لا يمكنني ذلك، فأنا بحاجة ماسّة إليك.

التفتت إليه، فألفت عينيها تلتمعان في عينيه:

ـ بالرغم مما تظنانه، أنا لست مجنونة ولا ضعيفة الشخصية. وما دامت لديك صعوبة في السمع، دعني أقلها مرة أخرى. أنا لن أتزوجك، يا سيد «باتيراس»، ولن أتزوجك أبداً يا سيد باتيراس. أفضل أن أكبر وأشيب في هذا الدير على أن أحمل اسمك، يا سيد باتيراس.

كبح كريستوس رغبته في الابتسام وهو يهتز فوق كعبيه. قال أبوها إنها عنيدة، لكنه لم يذكر شيئاً عن ذكائها أو حيويتها، هناك فرق بين العناد والحيوية. العناد شيء كريه، أما في الحيوية فيجد الرجل متعة أكيدة فلا شيء مثل حصان جامح، وطريدة جسور، ولعبة تنس مثيرة.. وليس هناك أكثر جاذبية من امرأة تتفجر بالحيوية. وتمتم بنعومة: «آه! أظنني معجب بك جداً».

ـ الشعور غير متبادل.

لوى شفتيه وأخذ ينظر إليها وهي تلقي برأسها إلى الخلف، وعيناها تنظران إليه بتحدٍّ. وإذ وقعت أشعة الشمس على وجهها،

www.elromancia.com

أدرك أن عينيها ليستا بنيتين أبداً بل زرقاوين.. زرقاوين داكنتين غامضتين كسماء في ليل. مثل بحر «إيجه» عندما يكون ساكناً، شعرٌ بلون العسل وعينان بلون بحر «إيجه»!. بدت أشبه بصور رآها لأمها التي كانت نصف يونانية، نصف إنكليزية والتي كانت تعد إحدى أجمل جميلات عصرها المعدودات.

- آمل أن تتمكني من احتمالي. فهذا يجعل الحياة الزوجية ناجحة....

تصاعدت نبضاتها بشدة أسفل عنقها، لكن عينيها أخذتا تقذفان حمماً من الغضب والعنف والاستنكار. إنها ستواجهه بأسنانها وأظافرها.

- وسرعان ما أدعك بعد ذلك، تضع لجاماً في فمي، وسرجاً على ظهري.

- هذا شيء مُغرٍ.

أصبحت وجنتاها بلون الشفق.. لقد اكتسبت لونها الرائع نتيجة امتزاج الدم الإنكليزي باليوناني في عروقها. عينان زرقاوان، شعر قمحي، بشرة ذهبية. وشعر برغبة عارمة في التملّك، إنها له ولو كانت لا تدري بعد.

هربت أليسيا إلى زاوية بعيدة من الحديقة المسوّرة، وعقدت ذراعيها على صدرها، بينما كانت أنفاسها السريعة المتلاحقة تضطرم في داخلها.

تبعها ببطء، فهو لا يريد أن يضغط عليها. ليس الآن على الأقل.. تحسس جيب معطفه العلوي فوقعت يداه على حافة صحيفة الصباح. لن تعجبها قصاصة الصحيفة هذه. إنه أول من اعترف أنها لعبة مخادعة بقصد السيطرة، لكنه لا يريد أن يخسر الصفقة.

لقد كان وعد والديه بثروة يجبر بها فرع أسرته المنهك، ومنذ

ذلك الحين، كل قرار اتخذه كان لملاحقة ذلك الهدف. ومذ تعهد بذلك، نمت ثروة الأسرة إلى حد كبير... كبير جداً. ولا بد أنها شعرت به يقترب، فقالت له بصوت منخفض ينبض بالمشاعر: «أليس لديك أخلاق؟ كيف تتزوج امرأة دون رغبتها؟».

- لن يكون الزواج دون رغبتك. إن لديك الخيار.

- أنت تثير اشمئزازي.

- عودي إلى الداخل إذن واستدعي الراهبة، إنها متلهفة إلى سماع حديثنا.

نظرت من فوق كتفها، فرأت الراهبة. فضغطت شفتيها قائلة: «أنت مستمتع بهذا».

- إنه يوم عرسي، ما الذي لا أستمتع به؟

ابتعدت عنه خطوة أخرى، وجلست على مقعد رخامي. فسار حول المقعد ليواجهها: «أليسيا، لقد أقسم أبوك على أن يتركك هنا حتى نتزوج، ألا يقلقك هذا؟».

- لا، أنت لست أول رجل أرفضه، ولن تكون الأخير، أنا هنا منذ عام تقريباً. والراهبات رائعات معي، وبصراحة، ابتدأت أشعر بأن الدير بيتي.

الدير بيتها؟ إنه لا يصدقها... ولا للحظة.. رغم جمالها النقي، ووجنتيها العاليتين وحاجبيها المقوسين الأنيقين، وعينيها المليئتين بالأسرار.

إنها لا تنتمي إلى ثوب الدير البسيط البني اللون، أكثر مما ينتمي هو إلى ثوب الكاهن. والله يعلم ذلك.

شعر كريستوس بموجة عطف مفاجئة نحوها، لكنها لم تكن كافية لكي يبتعد عن مائدة اللعب. لا.. إنه لم يفعل ذلك قط من قبل، وهذا لا يعني أنه يلعب بالورق، بل هو يقامر بطرق أخرى؛

مقامرات جريئة تخطف الأنفاس في صناعة السفن اليونانية. فيجني من ورائها أرباحاً مذهلة. لقد حقق نجاحاً بالغاً بالنسبة لأي شخص من مستواه.

ـ بيتك، يا أليسيا، سيكون معي. فقد اخترتك، وأنت جزء من خطتي. وعندما أبدأ بتحقيق أي خطة، فأنا لا أتخلى عنها، أنا لا أهرب أبداً.

ـ من الأفضل أن تستخدم هذه المزايا الرائعة في مكان آخر.

ـ ليس هناك مكان آخر، ولا خيار آخر، أنت وزواجنا هو المستقبل.

قال هذا بنعومة. وهبّت نسمة حركت خصلة من شعرها المعقود باحتشام. ولم تحاول هي أن تسوّيها فأخذت الخصلة البنية الذهبية تتحرك بخفة الريشة.

أعجبه تماوج أشعة الشمس على كتفيها ووجهها. إذ تحول لون شعرها إلى ذهب ونحاس، ولون عينيها إلى خضرة مياه البحر، ورفعت حاجبيها: «أنا أعرف من أنت، يا سيد باتيراس. أنا لست جاهلة بنجاحك. هل أخبرك بما أعلم؟».

ـ أرجوك، فأنا أستمتع بقصة نجاحي.

ـ أنت يوناني أصلاً، ولدت ونشأت في ضاحية للطبقة الوسطى في نيويورك. تعلمت في مدرسة أهلية مجانية قبل أن يقبلوك في كلية عالية ذات أهمية.

ـ كلية «بيل».

ـ وهذه جيدة جداً، ولكن لماذا ليس جامعة «هارڤارد»؟ المفروض أن جامعة هارڤارد هي الأفضل.

ـ لأنها غالية.

ـ هذا صحيح. فقد ترك أبوك موطنه «أونوساي» مفلساً مهاناً.

ـ لم يكن مهاناً، بل فقيراً، راجياً أن يجد حياة أفضل في مكان آخر.

ـ اشتغل أبوك في بناء السفن وترميمها.

ـ كان يعمل لحاماً.

قال هذا بهدوء، مخفياً مشاعره في الأعماق. فقد كان وفياً لوالديه كثيراً، وخصوصاً لأبيه، أبيه التقي المتين الخلق والمكرس حياته لأسرته. فاستطاع أن ينأى بها عن الذلّ زمن الأزمات المالية الكبرى. كانت هناك أيام شدة، أيام بالغة الشدة، هذا عدا نبذ المجتمع الأميركي ـ اليوناني لهم.

وبسرعة، وقبل أن تستمر في نبش الماضي، حوّل الضوء إليها: «وأبوك يا أليسيا، قد ورث ملايينه. وهكذا ليس لديك فكرة عما تعنيه كلمة فقير».

ـ لكنك لم تعد فقيراً، يا سيد باتيراس. إن لديك من السفن بعدد سفن أسطول بريطانيا التجاري. وبالرغم من أصلك المتواضع، ليس من الصعب أن تجد عروساً بسيطة... أكثر مني لهفة لقبول الزواج منك.

ـ لكنني لا أستطيع العثور على «داريوس ليموس» آخر.

ـ إذن، أنت في الحقيقة تريد الزواج من أبي.

كانت ذكية، وابتسم بفتور، وقد عاد يشعر بالتسلية مرة أخرى للتناقض بين مظهرها الهادىء الصافي، وداخلها الناري. ووجد نفسه فجأة يتساءل عما تخفيه في داخلها من مشاعر، ربما محمومة كجهنم.

كانت خصلات شعرها الذهبية تتراقص على خدها. فراح ينظر بإعجاب وهي تلامس أذنيها، فشعر بدافع مفاجىء للاقتراب منها لرفع هذه الخصلة عن وجه هذه المرأة التي تسحره. إنه سيستمتع بالزواج

من امرأة كهذه.

اتكأت أليسيا إلى الخلف من مقعدها، وثوبها البني يبرز صدرها الصغير، وأهدابها المسدلة تخفي ما تنطق به عيناها: «كم تبلغ معرفتك بأبي؟».

- إلى القدر الذي يجعلني أعرفه.

سمحت لنفسها أن تفوز بابتسامة صغيرة. ولاحظ كريستوس غمّازة شمال فمها الممتلىء، ربما سيتاح له أن يقبلها.

- لا بد أن أبي مسرور جداً لأنه وضعك في جيبه الخلفي. يمكنني أن أتصوره تماماً وهو يفرك يديه معاً مبتهجاً ضاحكاً.

ورفعت أهدابها: «لقد فرك يديه بعد أن أبرمتما الصفقة، أليس كذلك؟».

لهجتها، صوتها، عيناها، شدّ ما يرغب فيها. ومال فجأة إلى الأمام وأمسك بشعرها المعقود على رقبتها.. اتسعت عيناها عندما اشتدت أصابعه على شعرها لحظات قبل أن ينحني ليعانقها.

شهقت أليسيا عندما بدأ يعانقها، ولم تفته شهقتها والليونة المفاجئة في ردة فعلها.

تصلب جسده، وجرى دمه حاراً. ومن بعيد سمع نحنحةً، إنها الراهبة! إن طرده إلى خارج المكان الآن سيكون كارثة، وهكذا تركها ببطء، قائلاً: «كم أنت لذيذة».

شحب وجه أليسيا وانتفض جسمها كأنما تحاول أن تمسح آثاره عنهما:

- حاول هذا مرة أخرى وسأستدعي رئيسة الدير.

وضع قدمه على المقعد بجانبها، وشعر بجسدها يرتجف: «وماذا ستقولين، يا أليسيا الحلوة؟ إن زوجك عانقك؟».

- نحن غير متزوجين، بل نحن غير مخطوبين حتى.

- لكن هذا سيحصل حالاً.

وحدق في صدرها المضطرب الأنفاس: «أتحبين الرهان؟».

فارتجفت بوضوح: «لا، أنا لا أقامر أبداً».

- هذا أمر يدعو إلى الإعجاب، لكنني أحب الرهان. إنني، يا أليسيا، أعرف عنك أكثر مما تظنين.

ورأى ما بدا عليها من شك، فشعر بالرضا: «في السابعة عشرة من عمرك حصلت على منحة من معهد عال لدراسة الفنون في باريس. وعشت في غرفة فوق السطح مع «دزينة» من دارسي الفنون. كانت حياة بوهيمية نوعاً ما، مع أطفال يجرون بين الأقدام. وعندما كانت نقودك تنفد، كنت كالآخرين، تقومين بأعمال شاذة متنوعة. عملت، ذات صيف، مدبرة منزل، ثم في مخبز. وأطول عمل قمت به هو مربية لمصمم وأسرته».

فقالت بفتور وقد شحب وجهها: «كانت جميعاً أعمالاً محترمة».

- ومحترمة جداً، لكنها مختلفة تماماً عن الملعقة الفضية التي في فمك.

- هل ثمة غرض من قولك هذا؟.

تلاشت ابتسامته ومال إلى الأمام: «لقد أمضيت ثماني سنوات من حياتك محاولة الهرب من أبيك».

انفرجت شفتاها ولكن دون صوت. وأخذ يتأملها مراقباً كل خفقة من عينيها.

- أمضيت فترة من حياتك حرة، رسمت وسافرت واستمتعت بالحياة بين مجموعة من الأصدقاء، ولكن عندما مرضت وضعك أبوك في مستشفى في «بيرن»، ومنذ ذلك الحين تملكك، جسداً وروحاً.

- ربما جسداً، ولكن ليس روحاً أبداً.

إنها النار مرة أخرى، والتمرد العنيف، وشعر بتماثل بينهما لم يشعر به إلا نحو قليلاتٍ من النساء، ورقّق من صوته: «فكري في الأمر، يا أليسيا. في اليونان أنت دون قوة، وأبوك رأس الأسرة... السلطة الكاملة له. لديه الحق في أن يختار لك زوجك. لديه الحق في أن يسجنك هنا. لديه الحق في أن يجعل حياتك تعسة».

- أنا لست سجينة هنا.

- لماذا لا تغادرين الدير إذن؟.

حبست أنفاسها، بتوثبٍ آسر. واتسعت حدقتا عينيها، وتوترت شفتاها. فقال بعد قليل من التردد:

- يمكنك أن تغادري اليوم، حالاً، وستكونين حرة أخيراً.

بقيت لحظة لا تجيب، وهي تتفحصه بنفس العزم الذي قابلته فيه. ثم قالت: «الزوجات اليونانيات لا يملكن الحرية أبداً».

- لا. ربما ليس بالطريقة التي تفكرين فيها، لكنني سأسمح لك بالسفر، وبمزاولة الهوايات التي تهمك، وسأسمح لك باختيار أصدقائك وسيكون بإمكانك أن تعودي إلى الرسم.

- أنا لم أعد أرسم.

- ولكن بإمكانك ذلك، فقد سمعت بأنك ماهرة فيه.

ضحكت فجأة بصوت منخفض وأخذ جسدها يرتجف توتراً، وعقدت ذراعيها فوق صدرها: «لا بد أنك بحاجة ماسة إلى سفن أبي».

تملكت كريستوس موجة من مشاعر حلوة بشكل لم يشعر به من قبل. رأى نفسه كما هو بالضبط، منقاداً، حذراً بشكل أناني. يخدم نفسه بكبرياء، وهذه المرأة، هذه المرأة الجميلة النقية الشابة، تعلم بأن أهميتها الوحيدة تكمن في أنها جزء من صفقة قيمتها مقدار ما تدفعه من بائنة. وما يستحق الاهتمام فيها هو اسمها فقط. وفي جزء من اللحظة شعر بكراهية لهذا النظام ولنفسه، لكنه ما لبث أن أزاح

اعتراضه هذا جانباً دون رحمة.. سوف يحصل عليها.

انزلقت أليسيا من تحت ذراعه وابتعدت عنه عدة خطوات، وسارت إلى آخر الحديقة، ثم ركعت عند شجيرة لافندر، وهمست وهي تقطف زهرة:

- السفن... لشدّ ما أكرهها!

وأخذت تشم الزهرة الأرجوانية.

فقال وهو يفكر في أنها أشبه بلوحة زيتية: «وأنا أحبها».

انحناءة عنقها، رقبتها البيضاء، شعرها المجموع على قفا رأسها بلون العسل الطبيعي، يتألق في أشعة الشمس الذهبية. إنه يريد هذه المرأة، سواء كانت صفقة أم لا. وأطبقت على الزهرة في قبضتها وهي تقول: «يا سيد باتيراس، ألم يخطر في بالك قط أن تتساءل عما يدفع رجلاً ثرياً مثل أبي إلى منح ثروته لمن يأخذ ابنته؟».

كانت الشمس تتألق ذهبية دافئة على قمة رأسها، والنسائم تعبث بخصلة شعر أخرى: «أنا بضاعة تالفة يا سيد باتيراس، ولا يمكن لأبي أن يعطيني إلى طالب زواج يوناني حتى ولو حاول ذلك».

أكثر تلفاً مما قد يظن، كانت أليسيا تعترف بذلك بكآبة، وهي تسحق زهرة اللافندر في كفها، فقد تبادر إلى ذهنها، دون رغبة منها، ذكرى المصح الذي كانت فيه في سويسرا. لقد أمضت هناك قرابة أربعة عشر شهراً، طوال سنتها الواحدة والعشرين، قبل أن تأتي أمها فتنقذها وتساعدها على السكن في شقة صغيرة في «جنيف».

وقد أحبت أليسيا جنيف إذ لم يكن لها فيها ذكريات سيئة. وقد عاشت فيها بهدوء وسعادة حوالى عامين، راضية بوظيفتها في متجر للملابس، متذوقة الأمان في شقتها البسيطة.. كانت تتصل أسبوعياً بأمها في «أونوساي» وتتحدث إليها في أشياء كثيرة مختلفة سارة ليس فيها ما يؤلم بل ما يفرح. لم تسألها أمها عن المصح، أو عن حياتها

في باريس، على الإطلاق، ولم تسأل أليسيا عن أبيها قط. كانت كل واحدة منهما تتفهم الأخرى، وتتفهمان آلام بعضهما البعض.

وما كانت أليسيا لتعود قط إلى اليونان، أو إلى بيت أبيها، لولا مرض أمها بالسرطان.

رنين الأجراس المفجع أثار مشاعر أليسيا فجفلت فجأة، وأسدلت أهدابها وتوترت شفتاها وهي تجد في رنين الأجراس هذا ما يذكرها بموت أمها وجنازتها.

استمرت الأجراس في الرنين، رنينها أشبه بأظافر تخدش لوحاً أسود بحدة. آه، لشدّ ما تكرهه هنا! لقد قامت الراهبات بكل ما يستطعن للترفيه عنها واكتساب مودتها، لكن أليسيا لم تكن تستطيع احتمال يوم آخر من رنين الأجراس والصلاة والصمت.

لم تشأ أن يذكرها شيء بما فقدت. كانت تريد فقط أن تستمر في العيش.

الأخت «إيلينا»، ذات الوجه الصارم والقلب الحنون، أشارت إليها بأن وقت عودتها إلى الداخل قد حان.

شعرت أليسيا بالذعر، وأدار اليأس رأسها. شعرت فجأة بأنها لا تحتمل مغادرة الحديقة، أو وعود الحرية. وكأنه أحس بكراهيتها تلك، فمدّ لها كريستوس يده: «لست مضطرة إلى الدخول. يمكنك، بدلاً من ذلك، أن تغادري الدير معي».

لقد شعر بضعفها، وأحس باضطرابها. ومرة أخرى قال بصوت رقيق: «تعالي معي هذا النهار وستبدئين من جديد، وتدخلين حياة جديدة.. كل شيء سيكون جديداً مثيراً».

إنه يغيظها، يعبث بها. لكنها تلهفت إلى الحرية رغم نفورها من الصفقة هذه.

يمكنها أن تغادر الدير إذا هي ذهبت معه بصفتها زوجته. يمكنها

أن تهرب من أبيها إذا هي ارتبطت مع هذا الغريب.

ـ ألست خائفاً مني؟

سألته وهي تهرب من نظرات الأخت إيلينا القلقة. وتستدير إلى هذا الرجل الأميركي اليوناني الغامض الوسيم الواقف على بعد قدم منها فقط.

ـ وهل علي أن أخاف؟.

ـ أنا أعرف أن أبي حدثك عن... صحتي.

كل كلمة قالتها كانت أشبه بقطرة سم على لسانها. وخلف عينيها تجمعت دموع ساخنة.

ـ قال إنك لم تكوني بصحة جيدة وذلك منذ سنوات. لكنه طمأنني إلى أن صحتك جيدة الآن، وشكلك جيد، وفي الواقع هو جيد تماماً رغم نحولك نوعاً ما.

التوت شفتاها بابتسامة سخرية بالنفس: «قد يكون المظهر خداعاً».

فهز كتفيه: «أول سبع سفن لدي كانت تالفة. جرّدتها حتى أصبحت هياكل، ثم أصلحتها. وفي خلال عام درّت عليّ ربحاً مليوني الأول. مرّ عليها الآن عشر سنوات وما زالت حتى الآن أفضل قطع أسطولي».

تصورته يجردها ثم يحاول أن يجعل منها شيئاً ما. صعقتها هذه الصورة الواضحة وأشعرتها بالخوف. لقد مرّت سنوات وسنوات منذ كانت على علاقة حميمة مع رجل. وهذا الرجل..

كرهت الدم الذي تصاعد إلى وجهها، ثم رفعت رأسها: «أنا لن أدر عليك أي مليون».

ـ لكنك سبق إن فعلت ذلك.

تضايقت لتقييمه القاسي هذا، وتصلّب ظهرها:

ـ عليك أن تعيره إلى أبي. لقد سبق أن أخبرتك بأنني لن أتزوج

أبداً.

ـ تعنين مرة أخرى، أي أنك لن تتزوجي أبداً مرة أخرى.

جمدت مكانها، وتسمرت نظراتها على ميناء ساعة أثرية. أتراه يعلم؟

ـ لقد تزوجت من قبل عندما كنت في سني المراهقة، وكان هو إنكليزياً يكبرك بست سنوات. وأعتقد أنكما تعارفتما في باريس. ألم يكن رساماً هو أيضاً؟

التفتت إليه ببطء، متسعة العينين، ممزقة بين الذعر والافتتان إزاء تفاصيل ماضيها. ماذا تراه يعرف أيضاً؟ وماذا أخبروه أيضاً؟ وأجابته بصوت راعش، ذلك أن زواجها من جيريمي كان غلطة مأساوية:

ـ لا أريد أن أتحدث معك عنه أو عن الزواج.

ـ أبوك قال إنه كان يريد ثروتك.

ـ وهل أنت لست كذلك؟.

التمعت عيناه الداكنتان، وخطر لها أن هذا ليس رجلاً سهلاً.

اقترب منها إلى حد اضطرها إلى رفع رأسها لترى وجهه. وخفق قلبها فزاد ذلك من قلقها. كان طويلاً، أطول من أكثر الرجال الذين عرفتهم، وصلب الجسم عريض الصدر، وذا عضلات في ذراعيه تملأ كمي سترته.

كانت متوترة الأعصاب، وبحثت عن شيء، أي شيء يعيد إليها اليد العليا مرة أخرى. فقالت:

ـ الرجل اليوناني الأصيل لا يحب أن يكون الزوج الثاني لامرأته.

ـ لقد سبق أن تفاهمنا أنني لست رجلك اليوناني التقليدي. أنا أعمل ما أريد، وبطريقتي الخاصة.

* * *

٢ ـ مشاعر للذكرى

عندئذ خطر في بالها، وبقوة، أنه يمكن لاثنين أن يقوما بنفس اللعبة. كل ما عليها أن تفعل هو أن تفكر كرجل.

كريستوس باتيراس يريدها لتزداد ثروته، ولا علاقة لذلك بالحب أو المشاعر. إنها مجرد صفقة ولا شيء آخر. لماذا لا يمكنها تحقيق هذا الزواج بنفس الطريقة؟ هو يريد بائنتها، وهي تريد الاستقلال. هو يريد التحالف مع أسرة ليموس، وهي تريد الهرب من أبيها.

أخذت تزنه بنظراتها مرة أخرى. كان طويلاً قوياً مهيباً للغاية.. ينضح سلطة وسيطرة. هل يمكنها أن تتزوجه ثم تهرب؟

بعد ذلك لا تعود هي أليسيا ليموس، الغنية الصغيرة المسكينة، وإنما امرأة عادية ذات أحلام عادية، لديها بيت صغير في الريف وحديقة خضروات، وبستان تفاح. اختلست نظرة أخرى من جانب وجهه، ولاحظت أنفه الأقنى، وخط وجنته وفكه الحليق القوي. بدا لها أقل قسوة مما كان يتظاهر به، صلباً إزاء حقه ولكنه ليس عدوانياً، وإذا هربت منه، ماذا تراه يفعل؟ يطاردها؟ إنها تشك في ذلك، سيكون لديه كبرياء بالغة، ربما سينتظر مدةً ثم يلغي الزواج. الرجال أمثال كريستوس باتيراس لا يحبون الإعلان عن فشلهم.

التفت إليها فوجدها تنظر إليه، وتقابلت نظراتهما: «كل شخص

www.liromancia.com

يظن أنك قد تزوجت مني بالفعل».

ـ وكيف حدث ذلك؟.

فتح معطفه، وسحب الصحيفة المطوية من جيب الصدر وناولها إياها.

فتحت الصحيفة غير واثقة مما ستجد فيها، وإذا بالعنوان الرئيسي يقفز نحوها يصرخ بالخبر: (عرس سرّي لوريثة ليموس).

توالت عليها مشاعر الغضب والسخط والذهول وهي تقرأ هذا، كيف استطاع أن يفعلها؟ أن يحدث مثل هذه الإثارة؟ وما أن تفجر غضبها، حتى سقط عليها الإلهام، ولأول مرة منذ شهور، رأت باباً مفتوحاً، كل ما عليها أن تفعله هو أن تخرج منه.

تزوجيه واهربي.

كل شيء كان في مكانه، الزوج، الزواج، الحافز، كل ما عليها هو أن تتابع السير في خطتها، ثم ترحل. كل شيء كامل... وخفق قلبها، ولكن...

ربما كان أقل كمالاً مما ينبغي، ذلك أن كريستوس باتيراس لم يسيطر على صناعة السفن اليونانية بالحظ، فهو ذكي. لا، بل تقول الإشاعة إنه لامع. والرجل الذكي لا يتزوج امرأة شابة ثم يتركها تهرب منه. إنه سيستعد لذلك، وسيكون يقظاً. وسيكون عليها أن تكون حذرة للغاية، اللهفة والحذر تشابكا بمشاعرها. يمكنها أن تفعل هذا، يمكنها أن تهرب منه. كان الأمر يتعلق بأن تماثله ذكاء.

ازداد خفقان قلبها، ازدادت الإثارة في نفسها، لكنها خففت من حماستها، لم تشأ أن تكشف عن نواياها الحقيقية.

عبست، مظهرة الصدمة والدهشة: «لا يمكن أن تكون جاداً».

ـ إنه خبر الصفحة الأولى.

ـ لم يكن ثمة عرس، فكيف تكون هناك قصة؟.

ـ اقرئيها بنفسك.

أخذت تقرأ ما كتبته الصفحة الأولى حيث نُقل عن أبيها أنه لا يريد أن يثبت أو ينكر الريبورتاج عن العرس السري، لكنه يعلم أن المليونير صاحب شركة الشحن الأميركية اليونانية، كريستوس باتيراس، قد زار «أونوساي» منذ عدة أيام والتقىٰ أثناءها ابنته في الدير. مصادر أخرى أثبتت أن باتيراس قد شوهد في المدينة، بينما مصدر آخر ذكر الدير بصفته مكان العرس السري.

إنه عمل أبيها، دون شك. الألعوبة ومحرك الألاعيب، هذا شيء لا يصدّق. إنما هذه المرة هي التي تحرك الألاعيب، وهي المسيطرة.

قالت وهي تجعد الصحيفة: «أنت وأبي تؤلفان فرقة مثيرة رائعة».

ـ إنها فكرة أبيك فقط.

ـ لن يصدق هذا الهراء أحد.

ـ كل شخص يصدقه. لقد تدفق مخبرو الصحف إلى الميناء، متوقعين أن يروا العروس المحمرة الوجنتين خجلاً مع العريس على سطح اليخت عصر هذا اليوم.

بدا مغروراً معتداً بنفسه وكأنه ألقى حولها بشبكة، فأوقعها في فخه. لا... آسفة، كما أخذت تعتذر في داخلها، لكنني أنا الرابحة هذه المرة.

إنها ستتزوجه ثم تتركه. ويمكن أن يلتقط البقايا. وشجاره مع أبيها لن يكون مشكلتها هي. إذا شاء كريستوس باتيراس أن يقوم بمعاملات مع والدها، فهذا حسن. فليجرب غضب أبيها.

هاجمها شعور بالذنب قليلاً، ما لبثت بعده أن تجاهلت صوت ضميرها، مذكرة نفسها بأن كريستوس وأباها هما من نوع واحد بين الرجال. إنهما أنانيان، متهوران ينقصهما العطف والحنان.

لم يحدث، أثناء السنة المرعبة الأخيرة من حياة أمها، أن خفف

أبوها منهاج عمله أو ألغى اجتماعاً، أو غيَّر موعد سفر، مرة واحدة. ولم يحضر قط علاجها الإشعاعي. لم يمسك قط يدها أثناء جلسات العلاج الكيميائي المؤلم. وأبداً لم يتفقدها أثناء الليل وهي تستلقي بين الألم والخوف.

تصرف أبوها وكأن لا شيء قد حدث، متجاهلاً أعراض المرض هذه، ونهايتها، وبدا الأمر كما لو أنه حدث بسبب سوء الأحوال الجوية لا غير. فاستمر في عمله مخططاً لسفن جديدة، وطرق جديدة، وتحالفات جديدة. تباً لأبيها وتباً لكريستوس باتيراس.

كانت أليسيا تعلم أن ليس ثمة أسوأ من أن تكون المرأة زوجة لأحد ملوك المال اليونانيين.

لكنها أخفت كل ذلك، وركزت على هدفها. الاستقلال، السلام، العيش بعيداً عن أسر أمراء الشحن اليونانية الثرية. ربما تعود إلى جنيف. ربما تعيش في بيت صغير في جنوب لندن.

سألته ونبضها يسرع توقعاً:

ـ متى سنتزوج؟.

ـ اليوم، سنتزوج هنا، في المعبد، ثم نبحر بعد الظهر.

ـ وما هي توقعاتك مني بالضبط؟.

أخذ يتأملها بملامح جامدة لا تكشف عن شيء.

ـ بصفتك زوجتي، ستسافرين معي. عندما أستضيف الناس، تكونين المضيفة. وبالنسبة إلى أسرتي، سنبدو معاً دوماً في المناسبات الاجتماعية والرسمية ونتصرف كزوجين حقيقيين.

ـ وليس مجرد علاقة عمل.

ـ بالضبط.

ـ لأجل والديك.

ـ بالضبط، مرة أخرى.

لم يكن يريد أن يخيّب أمل والديه، وكادت تعجب به لذلك. كادت... ولكن، لحسن الحظ، ما كان لها أن تقلق على أسرته، أو توقعاته منها. فهي لن تكون بجانبه وقتاً يكفي لتقوم بكل تلك الواجبات. إذا تزوجا اليوم، عند العصر، فهي ستكون على بعد ساعات فقط من الحرية... ساعات تبدأ بعدها حياة جديدة لنفسها بعيداً عن اليونان وإسم ليموس.

ـ وماذا أيضاً؟

سألته بهدوء، وهي مصممة على أن لا تدعه يعرف نواياها أبداً. ذلك أن كريستوس قد يرتدي ملابس حديثة الطراز ويزاول الرياضة ويتحرك بخفة الرياضيين ويتكلم بفصاحة، لكنه، وراء هذه القشرة الثمينة المتألقة، رجل لا يختلف عن أبيها. وأبوها رجل عديم الرحمة، بالغ الانتقاد، عنيد، قد سحق المقربين منه، وسحق أسرته كما سحق أصدقاءه، دون تمييز. لم ينج منه أحد، دون استثناء.

ـ وأتوقع أن يكون بيننا علاقة طبيعية.

وهو أيضاً، قد أصبح رجل أعمال مستقل الشخصية والفكر.

خطر ببالها أنهما انتقلا إلى مرحلة النقاش. وستأخذ المعاملة مكانها، المسألة فقط مسألة إضفاء صفة رسمية على التفاصيل. كان يعلم ذلك، وهي أيضاً. وامتلأ فمها مرارة، لكنها لن تتراجع الآن.

ـ حدّد ما تعني بقولك: (علاقة طبيعية) من فضلك.

ـ أتوقع منك أن تكوني مخلصة، وفية، صادقة.

شعرت في داخلها بشيء يتحرك. همسة ضمير أخرى، لكنها نبذت ذلك هازئة. لقد سيطر عليها الرجال طوال حياتها، وهذه المرة فقط ستحتاط لنفسها. وقالت: «هل هذا فقط؟».

ـ وهل ينبغي أن يكون هناك أكثر؟.

كان يختبرها، هو أيضاً. كان يعلم أنه ينبغي أن يكون هناك

www.elromancia.com

أكثر، فهما لم يناقشا النواحي الجسدية من الزواج التي كانت تلوح بينهما ثقيلة مرعبة مانعة.

- إنه زواج مصلحة صوري، أليس كذلك؟

واكتسحته بنظرة قبل أن تحوّل عينيها بسرعة. لكنها لمحت في عينيه لمعاناً مفترساً، لم يكن متوتراً، بل بدا وكأنه يستمتع بكل هذا.

- الزواج الصوري لا ينتج أطفالاً.. وأنا أريد أطفالاً.

وقبل أن تجيب، تابع يقول: «سأبذل جهدي، يا آنسة ليموس، في أن أطمئنك إلى أنك ستكونين راضية، أريد أن تكوني سعيدة. من المهم أن نكون، نحن الإثنان، مكتملين. فالحبُّ هو جزء طبيعي من الحياة، ويجب أن يكون طبيعياً بيننا».

لامست عمودها الفقري أصابعُ الخوف، ووقف شعر رأسها، حتى تصاعد الدم إلى وجهها، وتملكتها قشعريرة ساخنة. وقالت: «إننا لا نكاد نعرف بعضنا البعض، يا سيد باتيراس».

- وهذا هو السبب في أنني لن أفرض نفسي عليك، إنني أرضى بأن أنتظر حتى يتلاشى بعض ما بيننا من الجفاء ونصبح أكثر... ارتياحاً مع بعضنا البعض، قبل أن نبدأ في علاقة حميمة.

وبجزء من الثانية تصورته يضمها إليه ويعانقها. إنّ هذه الفكرة جعلتها تتنفس بحدّة فقد شعر كل عصب في عروقها بقوة هذا الرجل وصلابته.

احمر وجهها مرة أخرى، فقد عمُق صوته وأصبح أبحّ وكأنه يهمس لها مدندناً، بدفء وحميمية.

عقدت ذراعيها فوق صدرها، وحاولت أن تتجاهل الوخز في صدرها والشوق إلى أن تعود امرأة حقيقية بعد أن كانت تظن أن شعورها كامرأة قد انتهى إلى الأبد، وقالت دون أن تنظر إليه:

- أتريد أن تلتزم بزواج دون حب؟.

- أنا ملتزم بك.

آه... أن يكون لديها شخص يريدها ويهتم بها... وجذبت نفساً ممزقاً وقد تلوّى في قلبها الألم والأمل اللذان أغراهما وعده ودفء صوته. ماذا سيكون شعورها لو أحبها هذا الرجل؟

لكنها عادت تعارض نفسها. إنه لم يقل قط شيئاً عن الحب أو الرغبة فيها. حتى إنه لم يعلن التزامه بها، بل كان ملتزماً ببيت ليموس. ملتزماً بأبيها وليس بها، فكيف تسمح لنفسها بأن تضمه إلى أحلام يقظتها، ألم تتعلم درسها حتى الآن؟

هكذا شق جيريمي طريقه عبر نقطة ضعفها، وهكذا قدمت له قلبها. حسناً، إنها لا تريد ولن تفعلها مرة أخرى.

بدأت مشاعرها تقسو وهي تقنع نفسها بأن كريستوس باتيراس غير مهم. وعوده غير مهمة، الشيء الوحيد المهم هو الهرب من الدير ومن أحابيل أبيها. هذا ما كانت أمها ستطلبه منها، وهو ما كانت أمها تريده لنفسها.

نظرت إلى أعلى فاستقرت نظراتها على الجدار الأبيض المرتفع. كل نوافذ الدير تطل على حديقة معشوشبة وأشجار حمضيات لا يطل أي منها على خارج الحديقة، ولا تسمح برؤية ولو لمحة من البحر، أو صورة عن العالم الذي يقبع في الخارج.

لكنها هي لم تتركه وراءها، وإنما نزعه أبوها منها بعد أسابيع من موت أمها فقط. لم يكن ثمة حداد بالنسبة إليه، وإنما عمل فقط ومال وعمل وسفن وصفقات.

وشعرت بغصة، وضاق صدرها لحظة وبعد صمت طويل مؤلم قالت:

- إذا كنا سنتزوج، فلا تدعنا نضيّع الوقت إذن.

* * *

وبعد قليل من الإجراءات، تزوجا في أقصر احتفال كنسي في معبد الدير، وتبودل الخاتمان والعهود مع قبلة غير محمومة.

وفي المقعد الخلفي من الليموزين، شبكت أليسيا يديها في حجرها، جاهدة في تجاهل الخاتم ذي الماسة الضخمة والزمرد الأخضر الذي يثقل إصبعها. وكان كريستوس قد سبق أن أخبرها بأنه ليس من موروثات الأسرة. ولم تكن الماسة التي تزن ثلاثة قراريط جزءاً من ثروة الأسرة، بل اشتراها حديثاً لأجلها فقط. لكنها لن تلبس الخاتم مدة طويلة، ففي مثل هذا الوقت غداً ستخلعه من إصبعها وتضعه على مائدة الزينة أو رف الحمام، كما تعهدت لنفسها.

ملأها هدوء غريب، لأول مرة منذ سنوات، شعرت وكأنها عادت سيدة نفسها تتصرف بدلاً من أن تتأثر. تضع القرارات لنفسها بدلاً من أن تشعر بالعجز.

وبنظرة سريعة إلى عريسها، لاحظت جانب وجهه، كان حاجبه القوي مقطباً موصولاً بالآخر. وكان شعره الأسود ممشطاً إلى الخلف.

سيدهش، دون غضب، عندما يكتشف رحيلها، فهو لم يتوقع منها أن تخدعه. وهذا لا يمكن أن يكون خطر في باله، تماماً كالرجل اليوناني الذي يفترض أن كل شيء سيسير حسب خطته.

جلس قريباً منها، أقرب مما ينبغي. ابتعدت عنه وإذا بها تجد أنه عاد فاستقر ملتصقاً بها مرة أخرى.

أصبحت مشاعرها، لوهلة، متيقظةً للحرارة المنبعثة من جسده. وتملكها الذعر لهذه الحميمية غير المرغوب فيها. لم تكن مستعدة لتقبل لمساته، ولا لمسات أي شخص آخر.

ازدادت اقتراباً من الباب، ضاغطة نفسها في الزاوية، متمنية لو

تنكمش حجماً.

قال وهو ينظر إليها متهكماً: «أنت تتصرفين وكأنك عذراء».

وكانت هي تشعر بنفسها عذراء، فقد مضت سنوات وسنوات لم يلمسها فيها أحداً ويقبلها حتى، وإذا بها تجلس الآن جنباً إلى جنب مع رجلٍ غريب طويل مهيب يريد منها أن تحمل أطفاله.

وضغطت أليسيا شفتيها بأصابعها المرتجفة. ما الذي فعلته؟ ولماذا تزوجته؟ إذا هي لم تهرب منه، فهي ستموت بكل تأكيد، فبالرغم من حكمة أمها، وبالرغم من إشارة الراهبات الرقيقة عليها، لم تشأ أليسيا أن تكون لها أسرة، ولا أطفال أبداً. وهي لن تتمكن أبداً أن تمنح كريستوس باتيراس أي فرصة. لن تدعه يقوم بحركة لإغرائها، وستهرب حالما يمكنها ذلك: «استرخي، فأنا لن أهاجمك».

فتحت عينيها ونظرت إليه من تحت أهدابها المسدلة. كان يبدو عابساً بعيداً عنها بأفكارها وقد تبدد الضحك من عينيه.

أخذت السيارة الفارهة تعلو وتهبط على طول الطريق الجبلي الضيق غير المعبّد، ثم ترنحت عندما عبرت السيارة حفرة عميقة. ورغم حزام المقعد، انقلبت أليسيا على حجر كريستوس، لكنها سرعان ما قوّمت نفسها وابتعدت عنه بحدة، فاشتد توتر شفتي كريستوس.

امتد الصمت بينهما متوتراً ثقيلاً. فشعرت بالارتباك، ولأنها أدركت أنها ساعدت على خلق العداء، فتشت عن شيء تقوله: «هل تحب مدينة «أونوساي؟»».

ـ إنها صغيرة.

ـ مثل أميركا.

إرتفعت زاوية فمه بإشارة خفيفة: «نعم، مثل أميركا».

وتلاشت التسلية من عينيه، وعادت ملامحه تتصلّب مرة أخرى.

شعرت بنظراته تستقر على وجهها تتأمله بنفس المشاعر الباردة التي يتأمل فيها شخص لوحة معلقة على جدار متحف. وسألها: «هل سبق لك السفر إلى الولايات المتحدة؟».

ـ لا.

دوماً كانت تتمنى الذهاب، فقد كان الفضول يتملكها لرؤية نيويورك وسان فرانسيسكو، ولكن لم يكن لديها الوقت، ولا الفرصة لذلك. شكراً لأبيها فقد كانت مشغولة جداً بالاستمتاع بشكل خاص بالإقامة في المصح وفي الدير.

ـ لديّ اجتماع في «سيفالونيا»، وسنذهب إليها من هنا بالبحر. ومن هناك يمكننا أن نذهب إلى مكان آخر لقضاء شهر العسل؛ مكان ربما يعجبك وذلك قبل أن نعود إلى بيتي في «إيست كوست».

شهر العسل! جفلت لقوله هذا. لقد قال إنه لن يفرض نفسه عليها، وسيرضى بالانتظار. وشهر العسل يعني الحب والعلاقات الحميمة و...

وارتجفت، إنها غلطة، لقد اقترفت غلطة. لا.. عليه أن يستدير بالسيارة ليعيدها إلى الدير الآن. كان ما يزال يراقبها، فقال وقد ضاقت عيناه: «لن نعود إلى الدير».

رفعت رأسها بحدة، وحدّقت إليه ذاهلة لأنه قرأ أفكارها.

ـ يا عزيزتي السيدة باتيراس، قراءة أفكارك ليست صعبة، لأن مشاعرك تبدو على وجهك. إنها جميعاً هناك موجهة إلي لأقرأها.

وربت على يديها المشتبكتين في حجرها: «حاولي أن تسترخي قليلاً، يا أليسيا، فأنا لن أطلب شيئاً منك الآن. فأنت بحاجة إلى وقت، وأنا بحاجة إلى وقت. دعينا نحاول أن نجعل هذا الزواج ناجحاً، ونعرف شيئاً عن بعضنا البعض أولاً».

وإذ شعرت بالغضب للهجته المنطقية، وهي التي لا ترى شيئاً

منطقياً في إرغامها على الزواج، رفعت رأسها وقد التهب مزاجها:

ـ تريد أن تعرف شيئاً عني؟ هذا جميل. سأخبرك عني. أنا أكره اليونان وأكره الرجال اليونانيين. أكره أن أعامل بصفتي مواطنة درجة ثانية فقط لأنني امرأة. أكره مقدار السلطة التي يحصل عليها الأغنياء الذين يخلقون لأنفسهم طبقة خاصة منغلقة على نفسها.. أكره الأعمال والسفن التي تعتز بها.. أكره التحالف الذي عقده أبي معك لأن أبي يكره أميركا ونقود أميركا...

وجذبت نفساً عميقاً وهي تهتز من رأسها حتى قدميها.

قال ببطء وهو يرفع حاجبه ساخراً: «هل انتهيت؟».

ـ لا، لم أنته بعد، بل أنا لم أبدأ بعد.

لكن انفجارها هذا قد هدّأها، فاستندت إلى الخلف مرهقة وصمتت فجأة.

لم تكن معتادة على العراك، أو على أن تكشف ما في نفسها، لأن أباها لم يكن يسمح لها بأن تقول شيئاً أبداً بل لم يكن ينظر إليها البتة.

ـ ماذا يزعجك غير ذلك؟.

سألها كريستوس ذلك بإلحاح وقد تركز انتباهه عليها ولا شيء غيرها.

هزت رأسها غير قادرة على أن تقول كلمة أخرى.

ـ ربما علينا أن ندع خلافاتنا الفكرية إلى ما بعد، هذه المواضيع الكبيرة تحطم النفس، أليس كذلك؟.

وابتسم وقد بدت ملامحه إنسانية بشكل مفاجيء: «لماذا لا نبدأ بالأشياء الصغيرة؟ العادات اليومية التي تريحنا؟ الإفطار مثلاً، القهوة، كيف تحبينها؟ مع الحليب والسكر؟».

هزت رأسها، شاعرة بجفاف في عينيها وبغصة في حلقها،

وهمست: «سوداء».

- دون سكر؟.

فهزت رأسها مرة أخرى:

- وقهوتك أنت؟ سوداء؟.

فقال بلهجة ودودة للغاية: «أحب قليلاً من الحليب في قهوتي، هل تستيقظين باكراً؟».

- نعم.

- وأنا أيضاً.

فقالت بلهجة لاسعة: «هذا جميل، سنكون ممتازين معاً».

بقيت ملامحه جامدة، عدا عن لمحة من الدفء بدت في عينيه.

- بداية تبشر بالخير. نعم، لكنني أظن أن بقاءنا أسبوعاً أو اسبوعين وحدنا سيساعد على تبديد بعض التوتر، ولهذا ألغيت مواعيدي. وبعد هذا الاجتماع في «سيفالونيا» سنصبح حرين في الأسبوعين التاليين.

- وكيف سنلائم وضعنا معاً؟.

- سأحاول ذلك.

غزا الإرهاق الذي يتملكها، مخاوفها. وشعرت بموجة جديدة من الذعر. ماذا لو عجزت عن الهرب؟ ماذا لو بقي قريباً منها؟ وانتبه إليها كثيراً فلم تستطع المغادرة؟ ستقع إذن في شرك هذه العلاقة وترغم على الزواج.. شعرت بالمرض تقريباً لهذا الاحتمال، وبغصة في حلقها.

لا يمكنها الانتظار، عليها أن تهرب حالاً، قبل أن يرسو اليخت. قبل أن يظهرا معاً بين الناس، ولا بد أنه أحس بذعرها، لأنه رفع يدها فجأة وأخذ يفحص الخاتم في إصبعها، ثم قبّل باطن معصمها، قائلاً: «ليس لك أن تكرهيني».

ارتعشت للمسة شفتيه، وجرى الدم في عروقها. حاولت أن تجذب يدها، لكن فمه أخذ يلامس بقعة حساسة أخرى من معصمها.

قالت: «أرجوك، لا تفعل هذا».

وحاولت أن تحرّر معصمها من قبضته.

- رائحتك أشبه باللافندر وأشعة الشمس.

فقالت بصوت يهيمن عليه الغضب: «دعني، يا سيد باتيراس».

ترك ذراعها فدفنت يدها في حجرها، لقد احترق باطن معصمها وتخدش جلدها وارتفع نبضها.

لم تكن تعلم أنها أصبحت بهذه الحساسية البالغة، وأرغمت نفسها على العودة باهتمامها إلى المناظر الصخرية، ناظرة إلى الطريق غير المستوية وهما يهبطان الربوة. كانا يقتربان من ضواحي المدينة.

وخطر لها فجأة فكرة غير مرغوب فيها، فسألته: «هل سأرى أبي في المدينة؟».

- لا، لقد استقل الطائرة هذا الصباح إلى اجتماع في أثينا.

تملكها الارتياح، فليس عليها أن تراه الآن على الأقل.

- أنت لا تهتمين به كثيراً، أليس كذلك؟.

سألها وهو ينظر إلى ساعته ثم يعود إلى النظر من النافذة.

- لا.

- يبدو أنه رجل لائق مهذب.

- هذا إذا كنت تحب الرجال المهووسين بالسيطرة.

فقطب جبينه: «لقد حاول القيام نحوك بما هو أفضل».

شعرت في معدتها بثقل الرصاص، لم يكن كريستوس باتيراس يعلم نصف الأمر، لأن أباها لم يقم قط بما هو الأفضل لها. كل ما يعمله كان لأجل نفسه.

بإمكانها أن تغفر لأبيها أشياء كثيرة، لكنها لن تغفر له قط

إهماله لأمها في الأسابيع الأخيرة من حياتها، وعندما كانت أمها مستلقية لتموت في ذلك البيت الذي يشبه ضريحاً فخماً، لم يمسك داريوس يدها قط، ولم يهتم بآلامها، ولا بالاقتراب منها، ولا اهتم بما تحتاج إليه، وكان ينبغي أن يكون موجوداً لأجلها على الدوام. فهذا أقل ما كان يجب عليه نحوها، كيف لم يهتم؟

عندما خنقتها غصة، ركزت أفكارها بشدة على المشاهد الصخرية خلف نافذتها المغلقة.

ـ ليتني سعدت بمعرفة أمك!

شعرت بكتلة الرصاص في معدتها تتضخم ضاغطة صدرها. فأصبح تنفسها صعباً، وأحرقتها دموع فاضت بها عيناها.

ـ كانت رائعة الجمال.

ـ رأيت صورها. عملت عارضة أزياء مرة، أليس كذلك؟.

ـ كان ذلك في حفلة خيرية.. كانت أمي تكرس حياتها لما تؤمن به. وأظن أنها كانت ستفعل المزيد لو سمح أبي لها بذلك.

كان صوتها وهي تتحدث مثقلاً بالمشاعر.

ـ لا بد أنك تفتقدينها.

كثيراً. فكرت في ذلك وهي تجاهد للتحكم في أعصابها. فمن المستحيل عليها أن تتحمل كل هذه المشاعر المتناقضة في وقت واحد. لقد أمضت السنة الماضية كلها على هذه الحال، وكانت خسارتها لأمها فوق كل شيء. كان ذلك أكثر مما تطيق، وأحياناً لم تكن تدري إلى أين تذهب لتستمد القوة وكانت تجاهد كثيراً لكي تصل إلى داخل نفسها لتمدّها بالشجاعة.

ـ هل أحبت أمك اليونان؟.

ـ كانت صابرة عليها.

أجابت بصوت متحشرج وهي تخرج منديلاً ورقياً. كانت عيناها

تدمعان وأنفها يحترق وشعرت باضطراب بالغ وفوق كل ذلك كان كريستوس ينظر إليها بإمعان جعلها تشعر وكأنها ستتمزق.. وسألها متأملاً: «هل لأن الجوّ خانق جداً؟».

ـ بل لأنه حار جداً.

وابتسمت لأول مرة عصر هذا النهار. كانت أمها تكره الحرارة، وهذا بالتأكيد ما جعلها تذوي.

ـ ماما ذبلت لافتقادها الخضرة الإنكليزية كما يذبل البعض لفقدان الحب.

ضحك كريستوس برقة، وبدا الحنان على ملامحه بشكل مدهش. لكن حنانه سيكون فيه هلاكها، وتصلب ظهر أليسيا، مذكرة نفسها بأن لا تثق بابتسامته أو دفئه، فهو ليس مجرد رجلاً عادياً.. بل رجلاً اختاره أبوها ولوّثه.

لقد تزوجها كريستوس باتيراس لأجل المال، فهو كأبيها إن لم يكن أسوأ.

ولأنه لم يبق لديها مشاعر، سألته بفتور، عن أشيائها.

ـ هل من الممكن أن يرسلوا إليّ أياً من كتبي أو صوري؟ وملابسي؟ ماذا حدث لكل ذلك؟.

ـ كل أمتعتك سبق أن أرسلت إلى اليخت، وكل ملابسك وضعت في صناديق وحفظت في مخزن المركب.

صعقت، ثم قالت ساخطة: «أنت واثق جداً من نفسك، أليس كذلك؟».

ـ لقد ساعدني أبوك.

ـ هذا واضح، ولكن ما أريد أن أعرفه هو، كيف؟ ولماذا؟

ذلك أن أباها لم يحب الأميركيين قط، وكان يحتقر عملات البلدان الأخرى.

وعادت تسأله: «لماذا ذهب إليك؟ وما الذي جعلك غير عادي؟».

ـ لأنني أملك ما هو بحاجة إليه، المال، المال الكثير.

ـ وماذا أعطاك مقابل ذلك؟.

لمعت عينا كريستوس وهو ينظر إليها، وبدت على شفتيه ابتسامة خفيفة: «أنت».

ـ يا لك من محظوظ!

فهز كتفيه: «هذا يعتمد على نظرتك إلى ذلك، على كل حال، أبوك سعيد. وهو لن يزعجك بعد ذلك».

وحدق فيها بعينين ملتهبتين: «لن أدعه يفعل هذا».

سمعت الوعد في صوته، ممزوجاً بشيء من التهديد أيضاً، وللحظة، بدا كريستوس باتيراس أشبه بقاطع طريق في أعماق المدينة. لكنه ابتسم، ابتسامته المسترخية العفوية المعتادة، فشعرت بنفسها تذوب.. فجأة تسلل الدفء إلى أعماقها المثلوجة، وتبدد خوفها نوعاً ما.. لقد رحّبت، في الحقيقة بوجود (مخفف صدمات) بينها وبين أبيها... فقد كانت حياتها غير محتملة تقريباً، وهذا ما جعلها تريد الهرب.

لاحت لهما ڤيلا بيضاء أنيقة، بجانب مرفأ متألق المياه.. كانت شمس العصر تنير الخليج. وانحنى كريستوس يقول وهو يشير إلى سفينة تسلب اللب بفخامتها: «ذلك هو يختي».

انحنت هي أيضاً وقد توقفت أنفاسها.. فقد يصبح هذا اليخت سجناً لها مثل الدير.. وخطر لها أنها ربما قضمت أكثر مما يمكنها أن تمضغه.

لا، ستكون على ما يرام، فقد تصورت كيف سيكون خروجها، وهي الآن بحاجة إلى وقت فقط.

كان في المرفأ عدد من مراكب الصيد ومن اليخوت أيضاً. لكن واحداً منها كان راسياً، وكان متفوّقاً عليها جميعاً. طرازه الجميل وبياضه الناصع كان يشير إلى غرفه الأنيقة. لا بد أن اليخت كلفه غالياً.

لم تدرك أنها كانت تفكر بصوت عال إلا بعد أن أخذ يضحك بهدوء. وقال بابتسامة ملتوية:

ـ إنها غالية الثمن، ولكن ليس بنصف ثمنك.

توهجت سخطاً، واحمرت وجنتاها: «أنت لم تشترني يا سيد باتيراس، بل اشتريت أبي».

لكنه كان مصيباً بشيء واحد، فعندما وقفت السيارة أمام المرفأ، رأت الصحافة حاضرة هناك بقوة، فالمراسلون والمصورون احتشدوا وأخذوا يتزاحمون للظفر بلقطات أفضل.

اندفعوا إلى الأمام عند وصول السيارة فتنفست بذعر. كل هذه الكاميرات... وكل مكبرات الصوت هذه، قد فُتحت... التفت إليها كريستوس قائلاً: «سينتهي كل هذا خلال دقيقة».

شعرت به يتفحصها، وعيناه الداكنتان تتأملان وجهها، وثوبها وشعرها. ولكنها جفلت عندما مدّ يده ينزع دبوساً من شعرها الذي ما إن انسدل بكثافة حتى أخذ يمشطه بأصابعه بإلفة. ثم تمتم يقول: «هذا أحسن».

عندما مر بإصبعه على حاجبها، أحست بالرعشة تسري في كيانها. لكنها أقنعت نفسها بأن ذلك نتيجة الكراهية، ولكن حتى لو سرى في كيانها المتوتر الدفء، فهي لا تريده ولا يمكن أن تريده.

وعندما وضع خصلة طويلة حريرية من شعرها خلف أذنها، تملك قلبها الشوق من لمساته وشعرت بأعضائها تضعف بشكل مخيف. فمنذ سنوات لم يلمسها أحد بهذه الرقة.

أرعبتها مشاعرها هذه. وشعرت بنفسها امرأة تكاد تموت جوعاً إلى الطعام والدفء. ونظرت إليه بعجز، كارهة نفسها لتجاوبها معه، وهمست لاهثة: «هل انتهيت تماماً؟».

ـ لا، ليس تماماً.

تمتم بذلك ثم انحنى عليها فتصلب جسدها، وتراجعت إلى الخلف. لا لا لا لا. لا يمكنه أن يفعل ذلك، لا يمكن أن يعانقها، خصوصاً هنا... خصوصاً وهذا الشعور يتملكها. كل شيء كان جديداً، غريباً، جنونياً.

لقد شعر بمقاومتها ولكنه تجاهل ذلك إذ أسند رأسها إلى يده، وشبك أصابعه بشعرها الطويل، ورأت هي اللمعان في عينيه الداكنتين، وشمّت أثراً من نكهة غنية، حلوة. إنها ليست ڤانيليا، وليست قرفة، ولكن رائحة أخرى عميقة للغاية، ومألوفة... وأخذ هذا يعذب ذاكرتها.

عانقها، فعادت تشم الرائحة التي ذكرتها باللوز، ببودرة الأطفال، برائحة المسك القوية... وبشكل ما، كل شيء وجدته ملائماً، هو، هذا، العناق، دفؤه، قوة ذراعيه... وأخذت مشاعرها تكبر وأحاسيسها تتوالى. ووجدت نفسها مستمتعة بقوة صدره، ودفء جسده، ورائحة محلول الكولونيا الفواحة.

كان شيئاً لا يصدّق.

واخترقت ذهنها أصوات مختلطة، أصوات أناس، فتحت عينيها، وانبلجت لها الحقيقة.. كانت الكاميرات تصور نوافذ الليموزين.

ـ معنا أناس، يا سيد باتيراس.

رفع رأسه وعلى شفتيه ابتسامة رضا، حتى أنه لم يلق نظرة ثانية على المخبرين الصحافيين، وهو يقول: «دعيهم ينظرون إلينا، فهذا

ما جاؤوا لأجله».

حاولت مذعورة، أن تهرب من السيارة، أن تخرج. لم تفكر في سوى الهرب من هذه الجموع، والكاميرات، وكريستوس...

لكن يداً أمسكت بخصرها، وشدته بقوة:

ـ سيدة باتيراس...

وكان هذا صوت كريستوس الأجش مخترقاً ذعرها: «ابتسمي لآلات التصوير».

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ قلب من حرير

صعدت أليسيا إلى اليخت، مخلفة وراءها حشود الصحافة وضوضاءها. وكانت شمس العصر تتألق على صفحة الماء كالذهب الخالص.

قدمها كريستوس على الفور إلى موظفيه وبحارته، مردداً «دزينة» من الأسماء، بينما اليخت يتهادى برفق فوق مياه المرفأ.

كان عصر هذا اليوم مثيراً للمشاعر، مليئاً بالمقابلات، غريباً عليها. ولم تدر هل أن هذا ما أرهقها فجأة، أم أن السبب هو إدراكها التام أنها ستبقى أسيرة هذا الزواج المزعوم إلى أن تطأ قدماها الأرض اليابسة؟ قد لا تتمكن من الهرب أبداً. وقد تبقى أسيرة إلى الأبد.

ودار رأسها، وأخذت تعبّ الهواء والذعر يتغلب على كل فكرة أخرى. ما الذي فعلته؟

ـ لا أستطيع.

قالت هذا بصوت مختنق وهي تفتش عن مخرج ونظراتها تقفز من جدار إلى باب، إلى رقعة من السماء الزرقاء في الخارج.

ـ لا يمكنني أن أفعل هذا... لا يمكنني...

ـ بل يمكنك. لقد سبق وفعلتها.

وكان هذا صوت كريستوس يقول برقة وهو يقترب منها.

أوقف التعارف ثم قادها من مرفقها إلى غرفة أنيقة مزخرفة بظلال

زرقاء باهتة. وخلف باب هناك، كان البحر يتألق بزرقة صافية. كان تأثير ذلك مهدئاً ومسالماً إلى درجة لا توصف. واسترخت هي قليلاً، وسألها وهو يخلع سترته: «أتريدين شراباً؟».

ـ لا.

ـ قد يساعدك الليمون البارد.

لا شيء سيساعدها إلا مغادرتها اليخت، لكنها لا تستطيع أن تقول هذا، ولا يمكنها أن تثير الشكوك في نفسه.

ألقى كريستوس بسترته على أسفل السرير.

ـ ربما حمام طويل ساخن سيفيدك. أظنهم كانوا يسمحون لك بذلك في الدير.

ـ لا، أبداً. كان مفروضاً علينا الدوش البارد.

وابتدأ بفتح الأزرار العليا من قميصه: «أتظنين أنك ستكونين مرتاحة هنا؟».

أخذت تنظر إلى السرير الضخم وجبل الوسائد الذي يعلوه. ثم التفتت إلى الستائر الحريرية الناعمة على الأبواب، وإلى الحرير الأزرق الذي يغطي الأريكة. وتذكرت غرفتها المتقشفة في الدير.

ـ نعم.

ـ هذا حسن.

واستمر يفك أزرار قميصه، كاشفاً أولاً عن عنقه، ثم عن صدره الأسمر المغطى بالشعر.

تنفست أليسيا بقوة شاعرة وكأنها غزت وحدته. ومع ذلك، وجدت نفسها تلتفت لتراقبه مرة أخرى، نصف مستمتعة نصف خائفة. وبدا كريستوس مرتاحاً وأضاف: «خزانة ملابسك في غرفة الملابس. استبدلي ملابسك هذه بملابس أخرى مريحة. ستتناول وجبة خفيفة الآن، أما العشاء فستتناوله قرب العاشرة ليلاً».

إنها ساعة العشاء اليوناني، لكنه ليس الرجل اليوناني النموذجي. وحولت عينيها عنه بسرعة، ثم انتبهت إلى كلماته (خزانة ملابسك في غرفة الملابس) فسألته: «هل ستتشارك في هذه الغرفة؟».

لم تتغير ملامحه: «طبعاً».

تراجعت خطوة إلى الوراء فاصطدمت بحافة منضدة الكتابة. نظرت إلى المكتب فلاحظت أدوات الكتابة الكاملة.

- أنت تعلم يا سيد باتيراس شروط اتفاقنا.

- إن مشاركتنا السرير لا يعني شيئاً سيدة باتيراس.

- سنكون قريبين من بعضنا البعض يا سيد باتيراس.

- من المؤكد أنك سبق أن فعلت ذلك من قبل.

لم يذكر زوجها السابق، لم يكن بحاجة إلى ذلك، فقد كانت تعلم بالضبط ما كان يفكر فيه، ولم يعجبها هذا: «بغض النظر عن كل شيء، أريد غرفة خاصة بي».

سار إليها، فمالت إلى الخلف حيث اصطدم ظهرها بالمكتب، ودون اعتذار، أخذها بين ذراعيه وعانقها.

جرت دماؤها ساخنة، وغمرتها موجة حارة وشعرت بالوهن ولكنها لم تقاوم بل اندست به وقد أجهدها التوتر بعد حرمان طويل من العطف والحنان اللذين فقدتهما منذ موت أمها والسنوات التي قبلها.

ضمها إليه بشدّة، فتملكتها أحاسيس جمة ولكنها ما زالت قليلة.. كل شيء شعرت به كان ممتعاً.. لكنه، مع ذلك، كان خطأ. لم تبتعد عنه... لم تستطع ذلك وصخب مشاعرها يجذبها إليه.

أخذ يعانقها بجوع.. أراد أن يتعرف إلى هذه المرأة، إلى هذه الزوجة فلا شيء بالنسبة إليه يدعى زواجاً مزعوماً. كانت ساقاها

ترتجفان، وشعرت بالنار تلعق كاحليها، ولكنها نار لا تريدها، ولن تتمكن من السيطرة عليها.

قطع كريستوس عناقه ورفع رأسه ينظر في عينيها، ولامس خدها بإصبعه، وقال بصوت أجش محموم: «غرفتان منفصلتان. لا أظن ذلك».

تركها وخرج ليتحدث إلى قبطان اليخت، فأسرعت تدخل الحمام وتقف تحت «الدوش»، ثم أخذت تغسل وجهها بالصابون بقوة، مصممة على أن تمحو بالغسل كل أثر لقبلات كريستوس.

من يظن نفسه لكي يعانقها ويعاملها كأحد ممتلكاته.

لعله عقد صفقة مع أبيها، لكنه لم يعقد معها هي صفقة! وأخذت تفرك وجهها وجسمها بالصابون.

أمضت وقتاً طويلاً تحت الدوش الساخن، ثم غسلت شعرها بالشامبو، فذكرتها رائحته برائحة سلطة الفاكهة. فقد تنشقت عطر الحمضيات فيها، المنغا، والأناناس.

لم يوفّر كريستوس باتيراس ثمن شيء، لا اليخت، ولا الزوجات، ولا ضروريات الحمام.

وفجأة، انبعثت الحياة في اليخت. وأصبحت ذبذبات المحرك محسوسة من خلال الأرض «السيراميك» تحت قدميها. إنهما، أخيراً يغادران «أونوساي».

خرجت من الحمام بسرعة وقد لفت منشفة حول جسدها واخرى حول رأسها.

جعلت المشاعر المترددة رأس أليسيا يدور ما بين الإثارة والخوف. لقد انتظرت طويلاً جداً لكي تغادر «أونوساي»، ولكن لا أن تغادر بصفتها زوجة أميركية!

عندما رفعت السفينة المرساة، شعرت بتغير هام في حياتها، فمن

الممكن أن يحدث أي شيء الآن.

أخذت تراقب بسرور «أونوساي» وهي تغيب عن نظرها... كانت الجزيرة الصغيرة تصغر شيئاً فشيئاً إلى أن غدت أميال من المياه تفصل بين اليخت والأرض الصخرية.

وأخيراً، أصبحت الجزيرة مجرد نقطة في البحر، ما لبثت أن اختفت مرة واحدة. وعندما اختفت الجزيرة ولم يبق سوى الأفق اللازوردي، والمياه الزرقاء اللانهائية، والشمس الذهبية المائلة إلى الغروب، تنفست أليسيا بارتياح وقد دمعت عيناها، وأخذ قلبها يخفق بشدة.

تنفست مرة أخرى، وفجأة شعرت بكل شيء يصبح أكثر سهولة وأكثر حرية وأحست أنها أزاحت عن صدرها عبئاً ثقيلاً.

حرة... إنها حرة الآن. صحيح أنها عادت إلى «أونوساي» منذ سنتين فقط، إلا أن هاتين السنتين كانتا أشبه بالأبدية. ليس موت أمها فقط، ولكن المصح، والزواج الفظيع من جيريمي، والطفل...

الطفل..

وغاصت أليسيا في السرير فوق الغطاء الأزرق.. ثم غطت وجهها بيديها وهي تئن، ضاغطة على عينيها بأسفل راحتيها...

شعرت بقلبها يحترق وبالألم يدمّرها، وبآهة مختنقة.. أخذت تهتز ذات اليمين وذات الشمال وقد برّح بها الشوق وعذبتها الذكريات.

أليكس، أنا مشتاقة لك، مشتاقة، مشتاقة. ويا له من عذاب!

لا يمكنها ذلك... لا يمكنها الاستسلام مرة أخرى إلى هذا الحزن الهائل، لقد أخبرها الأطباء في المصح بأن تناضل، أن تبعد عنها الذكريات. وأخذت تضغط على عينيها حتى لم تعد ترى شيئاً، ولا تسمع شيئاً ولا تتذكر شيئاً.

أخذت تهدأ رويداً رويداً، ولكنها ظلت تهز نفسها على السرير، كما كانت تهزّ اليكسي عندما كان لا يكف عن البكاء.. استمرت تتحرك دون هوادة حتى نام الوحش في أعماقها، أخيراً.

وتراجع الحزن ببطء فاستلقى عملاقاً ضخماً صامتاً جامداً على بوابة الذكريات.

سحبت نفساً حزيناً، ثم رفعت رأسها ببطء، ملقية نظرة على نفسها في المرآة الكبيرة المذهبة الإطار المعلقة فوق صندوق الأدراج الأثري.

عينان واسعتان عنيفتان، شفتان مرتجفتان. وكان هناك رعب وكراهية أيضاً. وكيف لا تمتلىء كراهية، وقد قامت بعمل فظيع لا يمكن الصفح عنه. وهي لا تكره أحداً بقدر ما تكره نفسها.

* * *

أخذ كريستوس ينظر إليها وهي تصعد إلى سطح اليخت. بدت صورة فاتنة في ثوب وردي باهت. كان ثوبها الطويل عديم الكمين، معلق على صدرها، محتك بكاحليها، ملتف على وركيها، وكان شعرها العسلي الطويل معقوداً إلى الخلف على رقبتها. بدت ذات أنوثة لا تصدّق، وهشاشة بالغة، فشعر بموجة من التملك تكتسحه. إنها ملكه الآن، إنها له.

كان قد رآها من قبل، منذ سنوات، في اجتماع في أثينا.. كانت صغيرة، وأكثر اشقراراً. يومذاك دخلت قاعة الاجتماع وأخذت تهمس باكية لأبيها بشيء.

كان الرجال قد صمتوا، بعد أن قوطع الاجتماع. وغضب داريوس ليموس فصفع ابنته أمام الجميع، وبدا رنين الصفعة مرتفعاً في ذلك الصمت السائد المفاجيء في القاعة.

كان كريستوس، حينذاك، في السابعة والعشرين، أجنبياً متطفلاً

مبعداً إلى آخر القاعة. ورغم أنه كان يتحدث اليونانية بطلاقة، إلا أنه لم يكن يفهم كل التلميحات المسيئة إلى السمعة التي كانت تُلقى نحوه. كل ما كان يعرفه هو أنه قد نال نصيبه من الفقر والعجز، وأنه لن يدع أحداً يملي عليه شروطه مرة أخرى أبداً.

لقد صعق عندما صفع داريوس ابنته، وحشية تلك الضربة تركت أثراً متوهجاً على وجه الفتاة، لكن الفتاة لم تُحدث صوتاً. وإنما أخذت فقط تحدق في أبيها وقد اغرورقت عيناها بالدموع قبل أن تترك القاعة بصمت.

تابعوا جميعاً العمل وكأن شيئاً لم يحدث. ولكن، هناك شيئاً قد حدث، شيئاً حدث لكريستوس.

اقتربت أليسيا منه الآن، بنفس البطء والتردد اللذين اقتربت بهما من أبيها حينذاك.

ناولها بصمت كأساً من العصير، وإذا به يلاحظ آثار الدموع على أهدابها وزوايا عينيها. لقد كانت تبكي، وتمتم: «هل غيرت رأيك؟».

ـ وللمرة الثالثة والرابعة.

وأشاحت برأسها كاشفة عن المزيد من رقبتها البيضاء.

ومرة أخرى شعر بحافز يدفعه إلى أن يأخذها بين ذراعيه، لأن يقبل بشرتها الناعمة ويجعلها حارة بين يديه. سيعرفها، يوماً ما، أكثر من أي شخص آخر، وسيكتشف كل الأسرار التي تحتفظ بها.

أراحت ذراعيها على الدرابزين، متجاهلة كأس العصير الذي كان يتدلى بين أصابعها. وكان اليخت يتحرك في المياه بخفة، وأخذ الهواء يرفع خصلات شعرها.

ـ إلى أين نحن ذاهبون؟.

ـ إلى أين تريدين الذهاب؟.

ـ بعيداً عن اليونان.

ـ هذا سيحصل.

نظرت إليه من فوق كتفها العارية البيضاء. كانت بشرتها تلمع وعيناها الزرقاوان غامضتين.

ـ ما زلت لا أعلم حتى أين تعيش.

ـ نعيش خارج نيويورك أكثر الأوقات، لكنني أملك أيضاً بيوتاً في لندن و«بروڤنسا» وفي «أمالفي كوست».

ـ يبدو أنك لا تستقر أبداً.

فابتسم هازلاً: «أرأيت، ها أنت ذي تعرفينني».

ظهر خادم الغرف، بلباسه الرسمي، على السطح، مشيراً إلى أن الوجبة الخفيفة جاهزة. مدّ كريستوس يده إلى أليسيا، مشيراً إليها بأنهما سيتبعان الخادم إلى المائدة المعدة آخر السطح.

أمسك لها الكرسي وهي تجلس إلى المائدة وهو يقول: «تبدين رائعة الجمال في اللون الوردي».

وضَعَت كأس العصير من يدها دافعة إياه نحو الزهرية في الوسط، وانتظرت حتى ابتعد الخادم، وبحذر بالغ، ركزت بصرها على الورود الصفراء والبيضاء، ثم قالت:

ـ دعنا لا نتظاهر بأن ما بيننا هو شيء غير ترتيبات عملية يا سيد باتيراس.

ـ ولكن هذا طبيعي جداً، لأن الزواج هو نفسه ترتيبات عملية.

وجلس أمامها ومال إلى الخلف: «ولكن هذا لا يعني أن المفروض أن يبقى غير مثمر، بارداً لا يُطاق، ولا يعني أنه ليس بإمكاننا أن نحتفل باتحادنا».

أمسكت بكأسها: «وبماذا سنحتفل، يا سيد باتيراس، بربحك المالي الجديد؟ باتحادك بداريوس ليموس؟».

- بكل ذلك.

همت بوضع كأسها وهي تجيب: «أنا، إذن، لا أريد ذلك».

- ماذا، إذن، لو احتفلنا بجمالك؟.

- وهذا ما لن أشرب نخبه، أيضاً.

- ألا تظنين نفسك جميلة؟.

- أنا أعرف أنني لست كذلك.

- أنا أراك بارعة الجمال.

- ربما كانت الصحبة تنقصك، مؤخراً.

فابتسم بتسامح، تقريباً: «كانت لدي صحبة غير عادية، ولكن، عليّ أن أعترف، بأنك تفتنيني. أنت جمال معذّب، أليس كذلك؟».

شحب وجهها واتسعت عيناها: «هذا الحديث يضايقني جداً».

- آسف.

لكن الأسف لم يظهر عليه كما رأت وهي تكبح ذعراً جديداً، شاعرة بأنها حوصرت.

عندما كانت ترتدي ملابسها الليلة صممت على أن تُبقي بينهما مسافة، وأن تبقى مستقلة بذاتها وأن تبذل كل ما بوسعها لكي تبقيه بعيداً عنها، لكنه ذو سلطة ماكرة. فقد وجدت نفسها تنجذب إليه بطرق لم تستطع أن تفهمها.

كان غريباً، وقد اشتراه أبوها. كان يريد أموال ليموس فقط، فلماذا تثور مشاعرها ويخفق قلبها، ولماذا تريد ما هو خطأ بالغ بالنسبة إليها؟

أغمضت عينيها نصف إغماضة، مذكرة نفسها بأنه عنكبوت قد غزل لها شركاً، فإذا لم تكن حذرة سيأكلها كما تأكل العنكبوت الذبابة الصغيرة، وبهذا تنجو منه.

وضعت قدماً أمام الأخرى، وكأنها تسند بذلك نفسها من اختراق

الأعداء. إنها ستطرده عنها، ستضع خطاً هنا فلا يجتازه، ولن تدعه يفعل ذلك.

تحرك كريستوس، ماداً ذراعه الطويلة بكسل ليجر كرسيها إليه، لم يكن ينوي أن يدعها تهرب: «لا ضرورة لأن تخافي».

- أنا لست خائفة.

هذا حسن، فإن الجليد كان في صوتها.

- نبضك يسرع، يمكنني رؤيته من هنا، في عنقك.

كان قلبها يخفق بسرعة، وشعرت بأنفاسها تنقطع، وبدوار، وتوتر. إذا لمسها، فستصرخ. وإذا جرّها أكثر، فستقفز.. لقد سار كل شيء بشكل خاطىء، خاطىء للغاية، ولا يمكنها الآن إلا أن تلعب الورق الذي أعطي لها.

- هذا غير صحيح. وأنا هادئة جداً، ربما أنت بحاجة إلى نظارات.

توترت شفتاه، ثم عاد فابتسم: «نظري ممتاز، عشرون على عشرين. وأبي وأمي لا يضعان نظارات».

تلاشت ابتسامته وقطب جبينه، وإذا بكل الضحك يتبدّد، وتبدو عليه الصلابة والعزيمة.

- لماذا منزلتك في نفسك وضيعة هكذا؟.

أفقدها تغيير الموضوع توازنها، وشعرت وكأنها اصطدمت بجدار. وهزت رأسها وقد تملكها الدوار إزاء الحقيقة التي كانت تقاومها.

لماذا يسألها؟ لأنها اقترفت عملاً فظيعاً سافلاً جعل زوجها يتركها، وأصدقاءها يهجرونها، ولأنها أمضت مدة طويلة في المصح قبل أن تبدأ في الشفاء.

- أنت ذكية، رائعة الجمال، حساسة، وربما ظريفة أيضاً.

قال هذا وهو يلمس خدها بقفا يده، لكنها مالت برأسها، فأمسك بذقنها يعيدها لمواجهته: «لماذا أنت عديمة الكبرياء إلى هذا الحد؟».

كادت رقة صوته تجعلها تلغي خطتها.. لا أحد سوى أمها، وربما رئيسة الدير، تحدث إليها بهذا الحنان والرقة. لقد جعلها تشعر وكأنها... إنسان.

اغرورقت عيناها بالدموع فأخذت تغالبها، وحاولت أن تضع حداً لعنف نظراته: «أرجوك، لا تزد».

ـ أريد أن أفهم.

ـ لا شيء هناك للفهم، أنا كما قال أبي عني، طائشة متمردة، ثائرة.

أخذ ينظر إلى وجهها، متفحصاً كل إنش من جانب وجهها قبل أن يخفض نظراته إلى قدّها الرشيق: «وهل أنت كذلك؟».

ـ طبعاً، فأنا ابنة أبي.

كانت تقصد أن تكون غير مهذبة، ولكن هذا بدا خطأ بشكل مخيف. كان قنوطاً أكثر منه غطرسة. وفجأة، شعرت بنفسها عارية تماماً، وكأن ثوبها لم يعد يسترها.

تمسكت بكأس العصير وكأن فيه حياتها. ماذا لو أنه اكتشف حقيقتها؟ ماذا لو أدرك أي امرأة هي؟

ـ دعني أذهب، أرجوك. يمكنك أن تحتفظ بالبائنة، وبمجوهراتي ومدخراتي المالية، لا أريد شيئاً.

ـ لا يمكنك أن تعيشي فقيرة، أنت لم تذوقي الفقر قط. إن مذاقه بنفس سوء مظهره.

ـ أفضل أن أكون فقيرة وحرة، أرجوك. فقط دعني أذهب.

أخذ يتأملها بعينيه الثاقبتين. ولزم الصمت لحظات طويلة ملؤها التوتر وأخيراً هز رأسه: «لا أستطيع، أنا بحاجة بالغة إليك».

جفلت بشدة، واشتدت يداها على الكأس بتشنج جعل الكأس تتحطم بقرقعة مسموعة وسرعان ما انتشرت شظاياه على المائدة، وأصابت شظية منها إبهامها ودخلت فيه.

كان ذلك أشبه بحركة بطيئة. بهذا كانت تفكر وهي تنظر إلى الدم الذي تدفق فجأة أحمر متألقاً. أخذ كريستوس يسب بعنف، وقد بدا يونانياً في كل ذرة من كيانه، وهو يمسك بفوطة ليغطي بها الجرح.

قالت بضعف: «أنا بخير».

فأجاب وهو يفحص الجرح: «هذا غير صحيح، الدم يتفجر كالنافورة، وقد تحتاجين لتقطيبه».

ـ سيتوقف.

فرمقها بنظرة لاذعة: «في الجرح زجاج، ولا تتحركي».

ثم أخذ ينظف الجرح بلطف، مقطب الحاجبين مضغوط الشفتين، مبعداً الشظايا من إبهامها. تراجعت إزاء ضغط أصابعه ورأى هو عبوسها. وفجأة تغيرت أساريره، وازدادت عيناه قتامة وعمقاً بحيث بدتا دون قرار:

ـ لا أريد أن أؤلمك.

ـ أنت لم تؤلمني، أنا فعلت هذا بنفسي.

ـ ومع ذلك.

مع ذلك، وكأن لديه القدرة على شفاء الجروح، وإعادة السكينة إلى ذهنها، وتخفيف آلامها وهمومها، إنه ليس عريساً فقط، لكنه أيضاً رجل معجزات، أليس هذا شيئاً غير عادي؟ واغرورقت عيناها بالدموع فعضت شفتها السفلى وقد غلبها الشوق العنيف إلى الشعور بالراحة والعافية مرة أخرى.

ألقى كريستوس بشظايا الزجاج في الفوطة، وأخذ يمسح الدم

الجاف ويضمد إبهامها.

أمسكت أنفاسها وهو يضمد إصبعها، شيء ما في لمسته جعلها تشعر بدفء بالغ. لقد جعلها تشعر بـ... بأمان بالغ. يا له من وهم! هل ثمة ظلم أكثر من هذا؟

نظر كريستوس إليها بوجه لا يكشف شيئاً:

ـ أخبرني أبوك بأنك غير جديرة بالثقة. لكنني لم أكن أعلم أنه يعني بالنسبة إلى آنيتي البلورية.

لوى شفتيه ورفع حاجبيه، ولكن خلف لهجته الساخرة، أحست قلقاً، فأخذت تعنف نفسها على الفور. هذه صفقة، صفقة زواج، وأنت عروس باهظة الثمن جداً.

حدقت في يديه دون أن تستطيع النطق. كان قفا يديه عريضاً أسمر، أصابعه طويلة متناسبة، لمساته خفيفة وماهرة للغاية. كان بإمكانه أن يكون نجاراً أو جرّاحاً. إنه، قانونياً، زوجها، زوج... وارتجفت، ومع ذلك لم يكن هذا نتيجة خوف، بل كان توقعاً. كانت مخيلتها هائجة مائجة. ونظرت إلى وجهه متوترة فشعرت بقلبها يهبط وكأنها فأرة ريفية خائفة وليست إحدى أغنى نساء اليونان. لكن المال لا يقارن بالسعادة أو الثقة بالنفس. لا أحد يعرف ذلك أكثر منها.

ـ هل قلت إن أبي أخبرك بأنني غير جديرة بالثقة؟

ـ نعم.

فاحمر وجهها خزياً. ماذا أخبره أبوها أيضاً؟ كانت تعلم جيداً أن صدق أبيها يمكن أن يكون قاسياً، فلطالما آذاها وأمها بتقويمه القاسي الجارح.

ـ إياك.

قال كريستوس هذا بصوت رقيق عاطفي وهو يمسح وجنتها المتوهجة بإصبعه.

شعرت بألم غريب في داخلها، فضغطت يدها المضمّدة على بطنها. لقد شعرت بكل شيء بدائياً مكشوفاً الآن. بإمكانها أن تشم الملح اللاذع الحاد في الجوّ، ودفء الليل، وحركة السفينة وهي تشق الأمواج.

ـ إياي ماذا؟.

ـ أن تفكري.

وتشكلت خطوط حول فمه، وتغضنت زوايا عينيه: «فأنت تعذبين نفسك مرة أخرى».

ـ أن أعذب نفسي أفضل من أن أعذبك.

وابتسمت بما تستطيعه من عدم الاكتراث، ابتسامة لعنت بها الشيطان وكانت حاربت بها العفاريت من قبل وانتصرت. وهي ستنتصر مرة أخرى، وستقوم بها دون عون كريستوس أو تدخله.

ـ فحص سريع آخر.

قال مصراً وهو يمسك بيدها ويرفع طرف الضماد ليفحص الجرح وكأنه ذو أهمية بالغة: «ربما لن تكوني بحاجة إلى خياطة الجرح».

ـ شكراً، يا دكتور.

ـ هذا من دواعي سروري.

كان المفروض أن يضحك، أو يبتسم ويقول شيئاً مرحاً. لكنه، بدلاً من ذلك، أخذ يحدق في عينيها، بجد وإمعان، مقطباً حاجبيه. أقسمت أن بإمكانه أن ينفذ بنظراته إلى داخلها، فيرى مخاوفها، وأسرارها الصاعقة.

شحب وجهها، فيما كانت نظراته العنيفة تثير الأعصاب. ماذا رأى حين نظر إليها بهذا الشكل؟ ما الذي يعلمه؟ وشعرت بالذعر، ودلائل من الماضي.

ـ في الحقيقة، يا كريستوس، أنا لن أموت بسبب هذا الجرح.

كانت تعني المزاح... تخفيف التوتر، لكنها لم تر منه حتى ابتسامة وإنما توترَ فكه ونفر عرق قرب أذنه:

- لأول مرة تستعملين اسمي الصغير.

ما الذي يفعله بها؟ يرقق قلبها الحجري؟ يقتحم دفاعاتها؟ هذا ما كان يفعله. وهي لا يمكن أن تسمح بذلك، لا يمكن أن تدعه يهدم الجدار الصلب العالي الذي بنته حولها.. لا أحد يدخل إلى الداخل، أبداً.

كلما أسرعا في الوصول إلى «سيفالونيا»، كلما كان ذلك أفضل، لذا دفعت أليسيا كرسيها إلى الخلف ووقفت غير متزنة: «لا أظنني جائعة، أرجو المعذرة، فأنا أريد العودة إلى غرفتي».

- بالتأكيد، لماذا لا تذهبين إلى غرفتنا وترتاحين؟ وسأطلب إرسال العشاء لك فيما بعد.

* * *

٤ ـ عروس البحر

بعد أن تناولت عشاءها منفردة، ارتدت بيجاما حريرية تغطيها من العنق إلى الكاحل. لم تكن مثل هذه البيجاما لتبرز شيئاً من جمالها، أو تناسب عروساً في يوم زفافها.

عروس، حتى هذه الكلمة التصقت بحلقها، فأخرستها، لكنها لم تكن عروساً. كانت ممثلة لا غير، وفي مثل هذا الوقت من يوم غد تكون قد رحلت. سيكون بإمكان كريستوس أن يلغي الزواج فيكون بإمكانهما، هما الاثنين، أن يجعلا هذه الحادثة الصغيرة المربكة خلف ظهريهما.

تكوّرت أليسيا في السرير وحاولت أن تنام، لكن النوم لم يطرق جفونها. وسطع ضوء القمر من بين الستائر حلواً جميلاً وأخذ اليخت يتمايل يميناً وشمالاً فشعرت ربما بشكل خادع، بالدفء والحياة، وأحست بالتيقظ وحدّة الحواس. استدارت على جنبها وأغمضت عينيها وأخذت تستمع إلى تلاطم الأمواج على جدار اليخت، وإلى الأخشاب وقرقعتها، وهدير المحرك المنخفض. هل سيأتي كريستوس؟ هل ينوي مشاركتها الفراش؟ كيف تظن أن بإمكانها أن تسيطر على رجل مثل كريستوس باتيراس؟ لا بد أنها كانت مجنونة،

www.elromancia.com

قد لا يكون مثل أبيها بالضبط، لكنه قريب من ذلك بما يكفي. وهو سيحصل على ما يريد، وهو يريد أطفالاً.

تقلصت معدتها وأغمضت عينيها بشدة، موحية لنفسها بأن لا تدع الذعر يتملكها. غداً سينزلان في «سيفالونيا» كبرى الجزر الأيونية. وسيفالونيا، باختلاف جبالها واحتشادها بالناس والأعمال، ستسمح لها بأن تهرب وتختبىء فيها. عليها فقط أن تنتظر اللحظة المناسبة.

وعندما أصبحت أكثر هدوءاً، استرخت وتركت نفسها طعمة لاهتزازات اليخت الرقيقة وسرعان ما استسلمت للنوم.

تغلغل الدفء في أحلامها، وغشيها الإحساس أن وجوداً ضخماً حقيقياً قد احتل أكثر من نصف السرير.

وفتحت عينيها لتكتشف أن كريستوس بجانبها، وجسمه الطويل القوي على بعد سنتمترات منها، وذراعه الممتدة تكاد تلامسها.

تصلب جسد أليسيا، وتوقفت أنفاسها عندما امتدت يده ببطء إلى رأسها ملامسة خصلات شعرها، وبهدوء بالغ، ابتعدت عنه زاحفة إلى حافة السرير، وقد تملكها الرضا وهي تسمع صوت سقوط يده على الفراش.

جمعت شعرها تبعده عنه. وطمأنها تنفسه العميق المنتظم، وارتاحت شيئاً فشيئاً، وعندما أوشكت على الاستسلام إلى النوم، أدركت أن كريستوس ليس نائماً. تحرك فجأة نحوها حتى التصق بها وبالرغم من الاحتجاج والسلوى في ذهنها استيقظ جسدها وقد سرى فيه توتر كهربائي.

فتحت عينيها وأخذت تحدق في حافة السرير، ثم في أرض الغرفة. لم يكن هناك مكان تهرب إليه، وعضت إصبعها تمنع نفسها من الصراخ. لم تكن مستعدة لقربه منها والتصاقه بها فهي لا تعرف

كريستوس ولا يمكنها احتمال قربه منها بهذا الشكل.

وازدادت مخاوفها عندما استيقظت حواسها متجاوبة مع حرارته وقوته.. لم تعرف رجلاً قط أثار في نفسها مثل هذه المشاعر المتناقضة من قبل: الوعي، سوء الظن، الرغبة، الخوف. أخذت تدفعه في صدره بمرفقها لإرجاعه إلى الخلف، لكنه لم يتحرك. دفعته مرة أخرى ولكن دون نتيجة سوى تنفسه العميق وأنفاسه المنتظمة تلفح وجهها.

تباً له ولوقاحته التي لا تصدق وتباً لسيطرته أيضاً! جعلها محبوسة على حافة السرير، فهي لا تستطيع التحرك إلى الأمام فتسقط على الأرض، وكذلك لا تستطيع التحرك إلى الخلف فتلتصق به.

أدركت فجأة أنه لم يكن نائماً تماماً، فقد كان جزءٌ منه مستيقظاً.

وضعت ساعدها على عينها محاولة أن تتجاهل التصاقه بها لأن ذلك يحرّك مشاعر لا تقوى عليها، مشاعر تحبس عنها حتى الهواء. في هذه اللحظات كانت تشعر بأنها تريد منه أن يضمها أكثر فأكثر ولكن يا ترى هل تستطيع احتمال ذلك؟ إن كريستوس يحرّك مشاعرها كما لم يفعل أحد قط.

أخذت أليسيا تتلوّى، لم تستطع منع نفسها من التفكير، فكل ما تمنته أن يكون نائماً بعمق إلى حد يجعله لا يعلم بالتأثير الذي يحدثه فيها.

وكل ما استطاعت عمله هو أن لا تتشنج بشكل ملحوظ، وهو ما زال مستمراً في نومه.

وفجأة، ارتفعت ذراعه وأحاطت بخصرها، فشدّتها إليه بعنف ضاغطاً بصدره على ظهرها. أخذ قلبها يخفق بحدة، واحتبست أنفاسها. عضت شفتها السفلى تخنق آهة. يا له من عذاب! عذاب

كبير لكنه من أحسن وأسوأ الأنواع.

- نامي.

قال كريستوس هذا ببطء بصوت خشن عميق.

- لا أستطيع.

- بل تستطيعين، أغمضي عينيك فقط، ولا تفكري بشيء.

لا تفكر! لم تكن تفكر بل كانت تشعر، وكل عصب فيها كان يتضرع للحصول على مزيد من الإحساس، كانت تشعر بلهفة إلى الحركة ولكن لا شيء يحدث، لا شيء على الإطلاق، فكيف تنام؟

بدا لها وكأنها أمضت ساعات مستيقظة، والألم يتملك بطنها وعضلاتها.

من السهل عليه أن يقول لها نامي، لأنه ليس هو الذي يكاد ينفجر. لكنها نامت أخيراً والألم يتملكها. وعندما استيقظت، كانت الشمس مشرقة ولا أثر لكريستوس.

ارتدت تنورة ضيقة من الكتان وفوقها كنزة مناسبة، ثم حاولت أن تكذّب ما شعرت به من توتر عندما رأت كريستوس مرة أخرى. لقد جعلها تشعر بالقنوط الليلة الماضية. عذبها بقربه ولكنها لا تنكر أنها شعرت بدفئه وصلابته وقوته.

دست قدميها في حذاء خفيف ذي أربطة، وأسرعت تصعد إلى السطح. قابلها خادم انحنى لها محيياً ثم أرشدها إلى مائدة الفطور الحافلة بالخبز الكروي المحلى والفاكهة الطازجة واللبن الرائب والقهوة. ولكن لا أثر هناك لكريستوس. وشعرت بحماستها تخبو. كانت خيبة أملها من القوة بحيث غضبت على نفسها لاهتمامها بشخص لا تعرفه إلا قليلاً، فهو غريب بالنسبة إليها. وقد تزوجته هرباً من أبيها لا شوقاً إلى حياة الأسرة.

أوشك فنجان القهوة أن يسقط من يد أليسيا. إنها لا تحبه

طبعاً... وهي لا تتوقع حياة سعيدة طويلة معه... فهذا ليس زواجاً حقيقياً.. وهذا ليس شهر عسل.. ونهرت نفسها، استيقظي.. اكبري!

أوشكت أن تتناول «الكرواسان» لكن شيئاً ما جعلها تفقد شهيتها تماماً. كان هناك زورق أبيض ناصع في الماء قرب اليخت. تركت كرسيها ووقفت على الدرابزين وأخذت تنظر إلى أسفل. إنه زورق بخاري بالفعل!

كان أنيق التصميم، مدهوناً باللون الأبيض الناصع والقرمزي ولكن لم يكن هذا الزورق البخاري هنا من قبل. هل جاء أحد إلى السفينة؟ أم أن كريستوس يريد أن يقوم برحلة؟

في كلتا الحالين، هناك زورق، وهو وسيلة للهرب. اشتدت أصابعها على الدرابزين وكان الخشب قد سخّنته الشمس. شعرت بهمسة ندم، لكنها سخرت من ضعفها وانجذابها إلى رجل ذي خطورة كامنة، فهذا ليس وقت الركون إلى المشاعر. إنها بحاجة إلى أن تتصرف.

وهبطت بسرعة السلم الذي يصل بين السطحين، ثم انزلقت على الدرابزين السفلي ومن ثم إلى الزورق البخاري. توجهت نحو عجلة القيادة حيث كان مفتاح الإشعال معلقاً مكانه، وبدا ظل على السطح، ثم صوت أبح يقول ببطء: «أذاهبة أنت إلى مكان ما؟».

إنه كريستوس، دقّ قلبها بعنف، فاتكأت على عجلة القيادة وقد تشنجت أصابعها.

اذهبي... اذهبي... هتف بها هاتف مخيف بذلك.. اخرجي من هنا.

لكنها لم تستطع أن تتحرك، فقد شلّها الخوف، وتصلب جسدها وهي تتوقع أن يمسك بها لينزلها من الزورق. سيكون غاضباً

حانقاً. . . وسيستعمل القوة الجسدية.

ـ أتحبين «الدونزي»؟

سألها بصوت أجش هازل تقريباً، كيف يهزل وقد حاولت الهرب؟

ـ «الدونزي»؟.

قالت هذا بصوت مختنق وقد تمزق صوتها، وأثقلها الخوف والذعر. لو حاولت هذا مع أبيها لشطرها إلى نصفين.

ـ هذا زورقي. إنه أميركي الصنع، صنع في فلوريدا.

انكمشت، ثم نظرت إلى أعلى شيئاً فشيئاً. كان يلبس شورتاً حائل اللون وقميصاً أبيض قطنياً مقفلاً قديماً.

بدا لامبالياً وغير خائف. وسرت في جسدها قشعريرة ساخنة، ولكن لم يكن في عينيه أو في التواء شفتيه ما يدل على الغضب.

ـ أحضري بدلة السباحة.

قال هذا وهو ينزل إلى الزورق.

ـ هناك شاطىء أحبه كثيراً وأزوره كلما كنت قريباً من «سيفالونيا».

كادت تتعثر وهي تسرع للهرب منه، وكادت تقول له كاذبة إنها لا تحب السباحة. وخرجت من الزورق مبتعدة عنه وهي تشتم تنورتها الضيقة التي أعاقت حركاتها.

أخذ كريستوس يراقب نضالها، عاقداً ذراعيه على صدره:

ـ ليس لديك خيار، يا سيدة باتيراس، إنه أمر. أحضري بذلة السباحة لأننا ذاهبان لنسبح.

غيرت أليسيا ملابسها في غرفة النوم وهي تكيل له الشتائم اليونانية. ثم خرجت مرتدية بذلة سباحة من قطعتين لم تلبسها منذ سنوات. كان طرازه محتشماً وكان الجزء الأعلى أشبه بصدار

الرياضة، ومثله اتساعاً وتغطية.

المفروض ألا يؤثر هذا كثيراً على السيد باتيراس، فكرت في ذلك وهي تنظر إلى نفسها في المرآة. أطرافها رشيقة بيضاء، وذراعاها أطول من المعتاد، وساقاها أنحف مما هو مألوف. كما أن رأسها بدا كرأس دمية مشوهة فوق جسمها الهش.

لم تعد تبدو شبيهة بالمرأة اليونانية. فقد ذابت تماماً. فتمريضها لأمها ألحق بها الهزال، والساعات الطويلة المرهقة ذهبت بما بقي لديها من شهية للطعام. ولا عجب أن الراهبات كن يلححن عليها دوماً بأن تأكل، فقد أصبحت هزيلة للغاية.

قررت أليسيا أن تأكل بشكل أفضل وستبدأ بذلك فوراً. . لا مزيد من القهوة السوداء وفتات الكرواسون، في الفطور. ستأكل مزيداً من الفاكهة والخضرة، وتأخذ كمية أكبر، وستحرص على تناول طعام صحي كاف.

رن جرس التليفون بجانب السرير فذعرت، وعندما رن مرة أخرى مدّت يدها إليه. وكان هذا كريستوس: «هل ستأتين أم تريدين أن أحضرك بنفسي؟».

ـ أنا قادمة.

أجابت بعبوس قبل أن تخبط السماعة. كانت عائدة إليه حتماً، لأن آخر ما تريده هو أن تكون مع كريستوس في غرفة النوم مرة أخرى.

فصل كريستوس الزورق عن اليخت، وما هي إلا دقائق حتى كان الزورق يقفز فوق الأمواج المزبدة، مرسلاً جداول من المياه في الجوّ. .

عبثت الريح بشعر أليسيا الطويل بعنف، فأمسكت بحافة الزورق محاولة عبثاً أن تسيطر عليه.

اصطدم الزورق بموجة خضراء كبيرة، فمدّت أليسيا يديها تحاول تثبيت نفسها، ونظر كريستوس إليها ضاحكاً وهو يصيح: «السرعة بالغة؟».

ـ لا!

لقد بهرتها السرعة بقدر ما بهرتها أشعة الشمس وتألق المياه الزرقاء. إنها تشعر بنفسها غارقة في الأحاسيس بسبب سرعة الزورق، والريح التي تعبث بشعرها. هل هناك شعور أكثر من هذا بأنها حية؟

قال لها بصوت مزقته الريح: «لا بد أنك أمضيت وقتاً طويلاً في الماء مع أبيك».

ـ لا في الحقيقة، فهو لا يحب الإبحار. إنه يستعمل الطائرة في رحلاته عادة.

كانا يطيران فوق الماء الآن، فالرذاذ المالح يغطي جلدها، وقطرات الماء تتراقص في شعرها، وقوة الزورق خطفت أنفاسها وقالت: «هذا شيء لا يصدّق. إنه يجعلني أدمن عليه».

ضحك كريستوس ضحكة عميقة مبحوحة، أما هي فأخذت الخيالات تتصاعد في رأسها.. تصورته يحيطها بذراعيه وهي تستكين إلى صدره كما كانت الليلة الماضية. آه! ما أشدّ ما كان دافئاً قوياً! لقد كان بالنسبة إليها أشبه بملجأ.

رفضت هذه الصورة بغضب، مذكرة نفسها بأنه أرغمها على هذا الزواج، وتحايل عليها لكي تقسم اليمين، وهذه ليست علاقة حقيقية، لأنه اشتراها بنقوده.

تلاشت بهجتها بركوب الزورق، وجلست هادئة بقية الرحلة، وعندما أبطأ كريستوس في القيادة، يفتش عن خليج صغير يوقف فيه الزورق، شعرت بعينيها تغرورقان بالدموع. لقد جعل كل شيء يبدو

ممتعاً للغاية، ولأن صوته كان ينضح دفئاً وجدت نفسها تتجاوب معه أكثر فأكثر.

أفقدها ذلك عقلها، لا، بل جعلها غاضبة ليس عليه فقط بل على نفسها أيضاً. أليس لديها عقل؟ ماذا بالنسبة إلى سيطرتها على نفسها؟

اقترب الزورق من الشاطىء، ومن الخليج الذي كونته صخور كثيرة ونباتات. بدا خاصاً تماماً. لم تكن هناك طرقات، ولا زوارق أخرى، ولا أحد. فقط الشاطىء الهلالي برماله العاجية الناعمة وتلاطم الأمواج الخفيف عليه.

كانا وحدهما... وحدهما تماماً.

داخلها الذعر، لأن هذا الشاطىء الصغير المنعزل لم يكن أقل من فردوس عشاق، غداء على الأرض، سباحة هادئة، وحب على الرمال البدائية.

تحرك كريستوس من مكانه، فالتفتت تلقي نظرة عليه وهو يخلع قميصه، وتمنت لو تقترب منه وتضمه إليها.. وسرى في جسدها إحساس غريب، وجرى دمها ساخناً في عروقها، وشعرت بالوهن في أطرافها.

ألقى بقميصه على الأرض، ثم نظر إليها، فالتقت أعينهما واشتبكت عيناه بعينيها. من عينيه أدركت أنه علم بما تشعر به، ولكنها رأت أيضاً أنه يشعر بنفس الشيء هو أيضاً. كل ذلك من نظرة واحدة.

إذا لمسها ستذوب، وتركع عند قدميه متوسلة، وتمسك به وتتركه يضمها. يعانقها، يحبها..

رباه... ما الذي يحدث هنا؟

نهضت بعنف واستدارت وهي تغطي فمها وتهز رأسها. لا، لا،

لا. ليس بهذا الشكل، ليس هنا، ليس معه، شعرت بالزورق يهتز، ثم سمعت صوت تطاير الرذاذ فقد رمى كريستوس نفسه في الماء. وسبح إلى الشاطىء حيث ربط الزورق إلى حلقة حديدية مثبتة في صخرة كبيرة، وعاد إلى الزورق ثم مد يده إليها.

- دعيني أساعدك.

- لا تلمسني!.

احمرت وجنتاها وبدت مذعورة للغاية.

ضاقت عيناه، فأخفت أهدابه الكثيفة مشاعره: «هل أنت بخير؟».

لا.. لم تكن بخير، كان لديها كل شيء إلا الخير، وشعرت بشيء يجثم على قلبها، فيما كانت عواطفها تتدفق بقوة. لم تكن تعلم ماذا يحدث لها لكنها كانت تشعر بالانهيار. ومثل هذا لا يجوز أن يحدث خصوصاً معه.

لقد مرّ على انتهاء زواجها من جيريمي أكثر من أربع سنوات وطوال تلك السنوات لم تعرف رجلاً آخر، مرت أربع سنوات على آخر مرة لمسها فيها رجل.

- يمكنني النزول وحدي.

قالت هذا بصوت مختنق، كارهة إثارته لها واهتمامه بها.

هز كريستوس كتفيه، وضغط شفتيه، ودون كلمة، أحضر سلة الطعام والمناشف من داخل الزورق، ثم عاد إلى الشاطىء.

جلست أليسيا في الزورق المربوط، عاقدة يديها في حجرها وأخذت تنظر إليه وهو يضع السلة والمناشف على الرمل قبل أن يعود إلى الماء ليسبح. أخذت تراقبه، كان سابحاً قوياً يضرب الأمواج بذراعيه القويتين، وصل إلى نهاية الخليج ثم استعد ليستدير عائداً. في هذا الوقت خلعت أليسيا تنورتها وبلوزتها ثم ألقت بنفسها في

الماء وسبحت بسرعة إلى الشاطىء، فشعرت بروعة الماء ودفئه.

نشفت جسدها على الشاطىء، ثم نشرت منشفتها لتجف، وجلست عليها تراقب كريستوس وهو يقترب. كان الآن على ظهره يسبح بكسل على طول الشاطىء، رأسه الأسود الشعر ملقى إلى الخلف وذراعاه القويتان تدوران في المياه.

وفجأة، دخل الخليج زورق آخر رسا على مقربة من زورق كريستوس الدونزي. ثم خرجت المجموعة المكونة من عدة أسر كما يبدو، وأخذت الأمهات يفرشن البطانيات والمناشف على الرمال بينما شرع الأولاد يلعبون متدافعين على الأمواج. وجلس الآباء معاً، مشكلين دائرة من السلطة الذكرية. ولاحظت أليسيا أن النساء أخذت يقمن بكل الأعمال كالعادة فيما الرجال يهمون بالجلوس.

خرج كريستوس من البحر والماء يقطر من جسده، وقد تبلل شعر صدره الأسود. تهالك بجانبها على الرمال، فابتعدت عنه بشكل غريزي، تلتمس مزيداً من السعة. وألقى هو عليها نظرة غريبة، ثم سألها: «أتشعرين بتوتر؟».

- لا!.

- هذا حسن، لأننا متزوجان، يا أليسيا. وبهذا تكون علاقتنا حقيقية.

لاحظ الألم على ملامحها فتوتر فكه، وأخذ يراقبها من تحت أهدابه المسبلة. كان وجهها أشبه بلوحة شفافة تمر عليها عاصفة بعد أخرى حتى أنهكه القلق.

أخذ قبضة من الرمال ثم جعلها تنساب من بين أصابعه.

- لماذا تزوجت مني؟ ما الذي غيّر رأيك؟

رفعت رأسها بسرعة، وقد التصق شعرها الطويل المبتل بكتفيها.

- ماذا؟.

ـ لماذا غيّرت رأيك بالنسبة للزواج مني؟

لم تجب، فمد يده وفتح راحته، تاركاً الرمال الناعمة تسقط داخل ذراعها فأبعدت ذراعها بحدة فتناثرت الرمال الدافئة على جسدها.

حبيبات الرمال على ذراعيها لم تكن بالإمكان تجاهلها.. أخذ ينفض الرمال عن ذراعيها فشهقت وانتفض جسمها لكن يده لم تترك ذراعها الدافئة.

تملكتها رجفة خفيفة شعر هو بها فنظر إليها رافعاً حاجبه: «هذا حسن».

احمر وجهها خزياً بينما قال: «لقد أعجبني ملمس بشرتك».

ـ دع يديك لنفسك.

ـ أريد زواجاً يا أليسيا، أريدك.

ـ أنت قلت إنك ستمنحني وقتاً.

ـ نعم، لقد منحتك. ولكن كم يلزمك من الوقت أكثر من هذا؟ أنت منجذبة إلي.

ـ لديك مخيّلة خصبة، يا سيد باتيراس، إذا كنت حقاً تعتقد هذا.

ورفعت رأسها والازدراء في عينيها، وضحك هو وقد سرّه الوهج الناري في عينيها. كان يحب عندما تغضب، يحب الثورة والتحدي الذي يراه مدفوناً فيهما.

ـ مخيلتي خصبة نوعاً ما، ولدي عدة أفكار أريد أن أجربها معك.

ـ قد لا أكون عذراء، يا سيد باتيراس، لكنني مع الأسف، لا أستطيع مجاراتك. والأفضل أن تجد لنفسك رفيقة يمكنها أن ترضي حاجتك أكثر مني.

ـ أنا لا أريد خليلة، أريدك أنت.

ـ هذا غير صحيح.

ـ لماذا لا يحق لي الشعور بالرغبة فيك؟.

ـ لأنك لا تعرفني.

ودست يديها في الرمال حتى المعصم: «ولا يمكنك أن ترغب في امرأة عرفتها لتوّك».

ـ لماذا لا؟.

ـ لأن... لأن هذا ليس صواباً.

ـ آه! إنها تعاليمك الأخلاقية. لقد فهمت. تتزوجين رجلاً لكي تهربي من أبيك، لكنك لن تحطي من قدرك إلى حدّ الرغبة فيه.

ـ لا، ليس هذا هو الأمر.

ـ بل هو الأمر بالضبط. ستجدين قبولك هذا النوع من الزواج أسهل عليك كثيراً إذا كنت مرغمة على احتمال لمسي لك، فلا تضعي اللوم في هذا عليّ وحدي. فالحقيقة هي أنك راغبة في ذلك أيضاً وهذا ما أغضبك.

قفزت أليسيا واقفة وأخذت تنفض الرمال عن ساقيها بغضب بالغ:

ـ أنا منجذبة إليك، ولكنني لا أريدك ولا أريد أية علاقة بك.

ـ ألا تظنين أن الوقت فات قليلاً على ذلك؟

تصلب جسدها فجأة، ورفعت يدها تظلل عينيها وهي تحدق نحو المياه، وانفرجت شفتاها عن آهة صامتة، بينما تركزت نظراتها على الماء. شعر بها تتوتر وبأنفاسها تنحبس.. رآها واقفة هكذا لحظة أخرى قبل أن تندفع بذعر إلى حافة المياه.

رأت أليسيا في المياه جسداً صغيراً طافياً وجهه إلى أسفل، وساقاه منفرجتان وذراعاه ممتدتان إلى الجانبين. سمعت صراخاً..

هناك من يصرخ فقفزت إلى الماء وأمسكت بالطفل صاعدة به.

وصرخت به أن يتنفس... تنفس...

أخذ الصبي يتلوّى، فإذا بقناع أزرق من المطاط يحيط بعينيه القاتمتين المجفلتين، وسقط من بين أسنانه الطفولية أنبوب لتوصيل الهواء تحت الماء.

لم يكن ميتاً، بل كان يسبح، يتنفس تحت الماء، لكنها استمرت تضم الصبي إلى صدرها.

جاء الناس إليها، نساء، رجال، وأولاد آخرون، وكلهم يصرخون في نفس الوقت.

«أنزليني». أمرها الصبي الصغير بذلك بلهجة متسلطة.

لم يعد خائفاً بل منزعجاً فقط: «أنزليني الآن».

ووسط هذه الفوضى، التقت عيناها بعيني كريستوس اللتين كانتا مسمرتين عليها. لم يكن فيهما شيء من الغضب أو أي تعبير آخر. أنزلت الصبي بضعف، وأوقفته على قدميه.

أخذته امرأة لا بد أنها أمه، والتفتت إلى أليسيا وهي تنهال بكلمات يونانية غاضبة. رأت أليسيا فم المرأة يتحرك لكنها لم تسمع شيئاً مما قالته الأم. كان رأسها يدور بصمت، وقد جمدت ذاهلة لذكرى الموت التعسة.

اخترق كريستوس الجمع، ليحيطها بذراع، دافعاً الآخرين بذراعه الأخرى.

ـ هل نذهب؟

أومأت، شاعرة بغموض، بضغط ذراعه حول جسدها، وبحجمه الكبير يخفيها عن أولئك القريبين منها. تيبس فمها، وغدا جافاً كالرمال. فيما صحبها كريستوس بعيداً عن الآخرين، وتوقف هنيهة جمع أثناءها مناشفهما وقمصانهما.

أخذ يفك الحبل بينما سارت والماء يتدفق حول فخذيها ويندفع إلى وركيها، ثم صعدت إلى الزورق وتوجهت نحو مقعد السائق.

نظر كريستوس إليها والزورق البخاري يشق المياه في طريقه إلى اليخت، لكنه لم يقل شيئاً فامتنت له. لم تستطع أن تنظر إليه، أو تتحدث معه. فقد كان الحزن يغرقها، وتقلصت معدتها، وتلوّت من الألم في بطنها. أمسكت شعرها بيد، وتمسكت بجانب الزورق بيدها الأخرى، ثم أخذت تتقيأ في المياه المالحة.

أليكسي...

كان كريستوس قد رأى منظر وجهها عندما رفعت الصبي، مع القناع وأنبوب التنفس. كان مكسوّاً بالرعب والذعر... نفس التعبير الذي يبدو على من يرى شبحاً.

أخذ كريستوس حماماً سريعاً، ثم ارتدى بنطلوناً أسود وقميصاً أبيض.

لم تشأ أن تتكلم عما حدث على الشاطىء، كما أنه لم يلح عليها بأن توضح الأمر، يكفي أنهما يعرفان أنها ركضت لأجل إنقاذ الصبي، وهي ترى شيئاً آخر مختلفاً بالمرة.

رأى كريستوس هذا النهار ما يكفي لكي يشعر بالقلق هو أيضاً. إن شبح أليسيا سيسكنها إلى الأبد إذا هو لم يحاول أن يساعدها، لذا عليه أن يقوم بشيء ما، ولكن ما هو؟

ارتدى سترته السوداء مسروراً، لأنهما سيتناولان العشاء الليلة في الخارج، وسيتعشيان في «سيفالونيا»، في ڤيللا أحد أقرب أصدقائه إليه. واعتقد أن جو الحفلة، ربما سيسهم في إعادة شيء من الطمأنينة إلى أليسيا، خصوصاً بعدما حدث على الشاطىء اليوم.

أخبرها بأن ملابس الحفلة ستكون ملابس السهرة الرسمية، وعندما أخذ يعقد ربطة عنقه، وجد نفسه يتساءل عما ستلبس هي.

تصور الملابس الطويلة التي ستختار منها، القماش المطرز بالخرز، القماش المخملي، القماش الحريري الهفهاف، ولكن لا شيء من ذلك سيكون في مستوى إغراء ثوب البحر ذي القطعتين الذي لبسته اليوم على الشاطىء.

عقد كريستوس ربطة عنقه، ثم أطفأ نور الحمام، لقد حان الوقت ليرى ما فعلته عروسه.

* * *

٥ ـ لن تنظر إلى الوراء

ـ أنت لم تخبرني أننا سنتناول العشاء في منزل مالك سفن آخر.

وحدقت أليسيا فيه برعب ووشاحها الحريري الناعم مطوي على ذراعها، وكيس نقودها الصغير المطرز بالخرز مدلّى من أصابعها. لقد تصورت عشاءً هادئاً وحدها مع كريستوس، فإذا بهما سيمضيان السهرة مع أسرٍ يونانية ذات نفوذ.. أسر تعرف الكثير جداً عن تاريخ أسرتها.

ـ ظننتني ذكرت لك ذلك.

ـ لا، لم تفعل.

مال برأسه قليلاً، فالتمع شعره الأسود كأنه عقيق يماني، وبرز قميصه الأبيض الناصع، متناقضاً مع ملامحه السمراء الحادة.

ـ إذن، فأنا أعتذر، لا بد أن الأمر غاب عن ذهني. فقد دعانا «قسطنطين باباس» للعشاء. أعتقد أنك تعرفينه؟.

آه! إنها تعرف قسطنطين باباس جيداً، ليس لأنه كان، ذات يوم، أحسن صديق لأبيها، بل لأنه سبّب خلافاً هائلاً بشأن أعمال الشحن بالسفن وبسبب دعوته أجانب ليستثمروا أموالهم في شركته..، من أمثال كريستوس.

خطر ببالها فجأة أن كريستوس قد يكون هو المستثمر الأجنبي

www.elromancia.com

الصامت: «ألست... ألا... مع السيد باباس؟».

ـ أتسألين عما إذا كنت شريكه في أعماله؟ الجواب هو «نعم». فأنا أدعم عمله منذ عشر سنوات تقريباً.

ـ أبي وقسطنطين عدوان.

لكنها عرفت من ملامح كريستوس أنه يعلم هذا.

ـ أبي لا يعلم هذا أليس كذلك؟

ـ لا، فقد كنت دوماً مستثمراً صامتاً، كما أن لديّ أعمالي الخاصة. وأبوك لا يعرف عني سوى أنني أميركي صاحب شركة.

ـ إنه لا يعرفك جيداً، أليس كذلك؟.

ـ إننا مجرد زملاء عمل، ولسنا أصدقاء.

شعرت بانفعال عصبي بالغ: «كيف قمتما بالصفقة، إذن؟ هل طلب أن يرى أسهمك وسنداتك التجارية؟ حساباتك في البنوك؟».

ـ لقد أرسلت إليه بيان مصلحة الضرائب.

ـ بيان مصلحة الضرائب، هذا غريب. أنت لديك مال، وهو لديه ابنة. فجاءت فكرة الصفقة.

وعقدت الصدمة لسانها، واغرورقت عيناها بالدموع.

ـ كم عدد الرجال الذين ذهب إليهم محاولاً أن يجد من هو غني بما يكفي؟

ـ لا أدري، يا أليسيا. لم يعد هذا مهماً حقاً، أليس كذلك؟.

ـ ليس بالنسبة إليك، لأنك ربحت. حصلت على اسم ليموس، وسفن ليموس، وأعمال ليموس وابنة ليموس.

وتملكها الشعور بالعار. أي نوع من الرجال هو ليبيع ابنته الوحيدة؟ أي نوع من الرجال هو ليبيعها إلى شخص غريب تماماً؟ كريستوس ليس حتى يونانياً، إنه أميركي. كان يمثل كل ما يحتقره أبوها، ومع هذا لم يهمه ذلك لأن كريستوس كان غنياً، غنياً قذراً،

مخيفاً.

ـ أنا أكرهك.

ولطمته بكيس نقودها المطرز على صدره: «أكره ما فعلته بي، بنا، نحن الإثنين».

وما إن لفظت كلمتي (نحن الإثنين) حتى أدركت سبب شعورها بالجنون في الأيام القليلة الماضية، لو أنها قابلت كريستوس في مكان آخر وأوضاع أخرى، لكانت وقعت في غرامه، لانه وسيم وقوي وجذّاب. ولكن زواجها منه بهذا الشكل دمّر كل شيء. كان يسعى إلى المال، وكل ما في العالم من جاذبية لن يستطيع أن يغير هذه الحقيقة.

ـ أنا آسف.

لم يكن في صوته العميق أي شعور على الإطلاق.

ـ أنا لست خارجة معك الليلة.

قالت هذا وهي تغالب دموعها، والألم في صدرها وحلقها: «وإذا كنت تريد أن تحتفل بنصرك، فاذهب من دوني».

ـ قسطنطين يقيم هذه الحفلة لأجلنا، فإن نحن لم نذهب فسيكون ذلك صفعة في وجهه.

ـ لا أستطيع الذهاب إلى هناك، لا أستطيع مواجهة أي شخص.

ـ لماذا لا؟ هل لأنك تشعرين بأنك غريبة؟ اسمعي يا عزيزتي لقد أمضيت حياتي غريباً، وأنا أعرف شعور من يرى نفسه موضعاً للتفحص الدائم. وقد سمعت انتقادات عن ماضيّ، لكنني لا أهتم بما يظنه الآخرون. وأنا لست بحاجة لأرضي أحداً عدا نفسي.

ردت عليه بعنف: «هذا واضح».

ربما يعد نفسه يونانياً، لكنه ما يزال أميركياً، لقد ولد في بلاد أخرى، ونشأ حسب قيم بلاد أخرى. وبقدر ما يريد أن يظن نفسه

يونانياً، فهو ما يزال غريباً وسيبقى غريباً على الدوام بالرغم من زواجه بها. وعادت تقول: «أنا لست خارجة الليلة، لا أريد دوراً في هذا، أنت عقدت صفقتك مع أبي، والآن دعني وشأني».

هز كتفيه دون أن يتحرك: «لقد عقدت صفقة معي، أنت أيضاً، وأتوقع منك أن تكوني وفية».

ـ إنها ليست صفقة عادلة.

ـ كان عليك أن تفكري فيها قبل الآن، وعليك ما دمت أصبحت الآن من أسرة باتيراس، أن تفعلي ما أطلبه منك.

ـ تطلبه؟

ـ وألح على ذلك.

وضاقت عيناه وتوتر فكه، مشيراً إلى مشاعر لم يكشف عنها حتى الآن: «بصفتك زوجتي ستذهبين معي الليلة وتعاملين قسطنطين باباس باحترام وتوقير حقيقي. هل هذا واضح؟».

دخل اليخت إلى المرفأ ببطء، ثم وقف في حوض السفن. وعندما نزل كريستوس وأليسيا إلى الشاطىء لم يتحدثا، واستمرا صامتين في السيارة الرولز رويس التي كانت تنتظرهما.

في السيارة أخذت أليسيا تتساءل كم يعلم كريستوس في الواقع عن علاقة أبيها بقسطنطين؟ كان الاثنان ذات يوم صديقين حميمين، نشآ معاً في أونوساي ودخلا الجامعة معاً. ولم تتغير صداقتهما إلا بعد أن أخذا يعملان معاً في الشحن بالسفن. كانا متنافسين على الدوام، فأصبح الواحد يشك بالآخر، وسرعان ما استحالت صداقة العمر تلك إلى منافسة مرة، حتى تفجرا ذات صيف باتهامات عنيفة بالغش والسرقة والكذب والأحقاد الحقيرة.

وقف السائق أمام فيلا قسطنطين الفخمة. وكان المبنى الرخامي الأبيض يلمع في الضوء، فقالت أليسيا: «لا بد أن السيد باباس صُعق

لزواجنا».

فأجاب: «كل شخص تملكه شيء من الفضول».

سمعته يقول ذلك دون اكتراث. فجذبت أطراف شالها الأزرق تخفي بها صدرها، ثم قالت: «سيثير الناس الأقاويل».

ـ إنهم يفعلون ذلك على أية حال.

ـ ولكن كل شخص يعلم بأنه كان يحاول أن يجد لي عريساً، ولا بد أنه وضع إعلاناً بذلك في كل صحف اليونان.

لمعت أسنان كريستوس في الظلام: «أنت تنسين أن كل شخص يعتقد بأن زواجنا هو زواج حب. فقد كان عرسنا عرس سرّي، وأكثر الناس سيفترضون أننا تزوجنا من خلف ظهر أبيك».

ـ وسمعتي؟.

فقال موافقاً: «ممزقة تماماً».

ومدّ يده يلمس السوار الماسي حول معصمها. بعد قليل، فتح السائق باب السيارة الخلفي لهما ووقف جانباً باحترام. لكن أليسيا لم تستطع دفع نفسها إلى الحركة، لأنها شعرت بشكل ما، بأنها خُدعت، وأُدخلت إلى هذه اللعبة بالحيلة والدهاء.. كان أبوها يخدعها طوال حياتها، وها هي تتزوج رجلاً ينوي القيام بنفس الشيء.

شعرت بغصة: «ظننتك مختلفاً ربما..».

توتر فك كريستوس الذي تجاهل السائق وركز اهتمامه عليها.

ـ علينا أحياناً أن نلوي القواعد لنستمر في التقدم.

ـ تلوي القواعد؟ أتعني تحطمها؟ أنت تقوم بكل شيء بنفس خداع ومكر أبي.

وشعرت بثقل نظراته وهو يقول: «ربما، ولكن دوافعي مختلفة».

- هذا قولك أنت!.

- عليك فقط أن تثقي بي.

- أثق بك؟

وهزت رأسها ببطء. وعدم التصديق يرتسم على وجهها.

- عليّ أن أثق بأبي قبل أن أثق بك. لقد عرفته، على الأقل، طوال حياتي، أما أنت فقد عرفتك لتوي.

ضم كريستوس قبضتيها براحته الضخمة، جامعاً إياهما بيديه، ثم قبلهما بهدوء.

- أحياناً يكون الغرباء نعمة مجهولة من الله.. تعالي الآن فقد حان وقت دخولنا.

اضطرت أليسيا إلى الاعتراف بأن قسطنطين كان مضيفاً أفضل من أبيها. فقد حياها بحرارة، وقبلها على الوجنتين مهنئاً بزواجها. لعله شعر نحوها بشيء من القسوة، ولكن ذلك لم يظهر عليه. ووجدت نفسها تكافح للإجابة عن أسئلته المهذبة عن أبيها بتهذيب مماثل. من الواضح أن قسطنطين يريد أن يضع الماضي خلفه، وهي لن تفعل أقل من ذلك.

- أحسنت بذلك.

همس كريستوس في أذنها بهذا عندما تركا قسطنطين وزوجته، إلى زوجين آخرين.

حاولت أن تبقى بمعزل عندما أخذ كريستوس يتحدث عن الأعمال مع الرجل الآخر، لكنه طوق خصرها بذراعه وضمها إليه بشدة. وتحركت أصابعه نازلة بخفة إلى وركها تلامسه. وحاولت أن تبتعد، لكن ذراعه اشتدت حولها. إنّ أي هرب كان مستحيلاً.

ألقت برأسها إلى الخلف وفتحت شفتيها لتحتج، لكنها رأت نظرة تحذير في عينيه: تذكري أين أنت، تذكري مع من نحن، هذا ما

قالته ملامحه.

كانوا رجال، رجال أعمال وكان كريستوس يقودهم.

ابتلعت المرارة في فمها وقد عادت بها الذكرى برغمها إلى وقت قاطعت فيه اجتماعاً لأبيها لتسأله إن كان بإمكانها أن ترافق مجموعة من المراهقين إلى الرقص على أنغام الديسكو. لم يكن سبق لها أن ذهبت إلى الديسكو من قبل، ولا إلى الرقص. وبدا لها ذلك شيئاً مثيراً، ورغم إنذار أمها، ذهبت إلى أبيها، متلهفة إلى إذن منه. وكانت أمها على حق، فقد ثار أبوها غضباً لهذه المقاطعة وصفعها على وجهها بحدة أمام دزينة من الرجال، لقد صفعها وأمرها بالذهاب إلى فراشها. وبدلاً من الرقص، بقيت ساعات تبكي، محبوسة في وحدتها وخزيها.

لقد رفض أبوها محاولاتها الواهنة للاستقلال، ولم يسمح لها حتى بأنفه الحريات، رغبة منه بفتاة يونانية تقليدية.

ملامسة إبهام كريستوز لخصرها اخترقت استغراقها في الذكريات وارتدّ انتباهها بهزة خفيفة إلى الحديث عن الأعمال ودفء يد كريستوس على خصرها.

اشتعلت بنران مشاعرها ومرة أخرى شعرت بهذه المشاعر تفور مطالبة بيقظتها من هجوعها.

وبينما كان كريستوس وصاحبه يناقشان أمر السوق الأوروبية والاقتصاد الأميركي، بدأ رأسها يدور بسبب التوتر الذي تملكها، ومع استمرار النقاش، كانت تسمع كلمات قليلة، فقد أصبح انتباهها مركزاً على ما كانت تشعر به من غليان في العروق وتسارع في الأفكار، فلم يسبق أن شعرت قط بمثل هذه اللهفة في أعماقها.

وعندما رأت أنها لم تعد تستطيع معه صبراً، أمسكت بيده ترفعها عن خصرها وهي تقول وقد أوهنها هذا الاحتكاك، ودمّرها تجاوبها:

«دع هذا».

ـ المفروض أننا سعيدان، لأننا عريسان عاشقان.

تصلّبت باحتجاج صامت، كارهة الضعف الذي شعرت به، عاجزة إزاء مشاعرها التي لم تستطع السيطرة عليها. إذا كان بإمكانه أن يجعلها تشعر بهذا الشكل بين الناس، ما الذي سيحدث الليلة إذن عندما يكونان وحدهما؟

إنها لن تستطيع أن تدعه يقترب فيها. فهي لا تأخذ حبوب منع الحمل، كما أنها تشك في اتخاذه هو أي مانع. لقد أوضح لها أنه يريد أولاداً، ويريدهم حالاً، وفي واحدة من هذه الليالي سيدفعها إلى إكمال زواجهما.. وربما هذه الليلة نفسها.

عليها أن تهرب، فهي لا تستطيع انتظار فرصة أخرى لذلك، عليها أن تهرب على الفور. وهذه الحفلة تشكل تغطية مناسبة تماماً، أناس كثيرون يروحون ويجيئون، وموسيقى تعزف وضوضاء تملأ المكان، ولن يعلم كريستوس برحيلها إلا بعد وقت طويل.

خوفاً من أن تغيّر رأيها، التفتت إليه تتمتم معتذرة، مدعية بالحاجة إلى الذهاب إلى استراحة السيدات. ثم ذهبت بسرعة خارجة من قاعة الرقص البيضاء ـ الذهبية، متجاوزة الردهة إلى ممر أضيق يؤدي إلى المطبخ.

تجاهلت موظفي المطبخ وهي تمر رافعة الرأس وكيس نقودها مدلّى من معصمها دون اهتمام. لم تركض، ولكنها أبقت نظرها مسمراً على الباب أمامها.

بدا طريق السيارات، بما تقف فيه من سيارات فخمة مترفة ما بين المرسيدس والبنتلي والفيراري والجاكوار والرولز رايس، بدا وكأنه معرض للسيارات غير العادية. اجتازت أليسيا موقف السيارات دون أن تنظر إليه، مشيرة برأسها إلى مجموعة السائقين الذين كانوا واقفين

يدخنون.

أحد السائقين، أتراه سائقها؟ تقدم إليها يسألها إن كانت بحاجة إلى الركوب، فهزت رأسها وتابعت سيرها، عالمة بأن التاكسي أكثر أماناً.

أشارت إلى تاكسي مرسيدس، غير بعيدة عن جسر «ترابانو»، قريباً من المرفأ، جنوب ارغوستولي حيث استطاعت أن تشم رائحة الملح في الجوّ، وهمهمة مياه البحر.

وسألها السائق: «إلى أين؟».

ـ إلى «سامي».

وأرشدته إلى المرفأ الآخر للجزيرة حيث قرية صغيرة فيها عبّارة تنقل الركاب إلى الجزر الأخرى، وإلى المناطق العادية الأخرى. وكانت قرية «سامي» تبعد أميالاً عن «أرغو ستولي» المزدحمة، ومجتمع أثرياء أصحاب السفن الذين يعرفونها جيداً ويعرفون الكثير عن أسرتها. أما في «سامي» فلا أحد سيعرفها وهناك رهنت سوارها الماسي لكي تنفق ثمنه، ومن ذلك الثمن دفعت أجرة «العبارة» إلى «لفكاس»، وفي «لفكاس» استطاعت شراء تذكرة طائرة من «طيران أوليمبيك» إلى أثينا.

يا لسخرية القدر! إن هذا السوار الذي كان هدية عيد ميلادها السادس عشر من أبيها، سيشتري لها الآن الحرية.

لو أخذت ذلك السوار إلى باريس، ورهنته هناك لاستعملت المال في إنقاذ أليكسي.

فجأة، رأت وجه أليكسي الجميل، وخصلات شعره الذهبية، وذراعيه الصغيرتين ممتدتين، وكان طافياً.. طافياً.

أغمضت أليسيا عينيها بشدة، ضاغطة على فمها محاولة جهدها محو هذه الذكرى. جلست فترة طويلة محنية الظهر، جامدة المشاعر

وقد تملكها حزن صامت لا نهائي.

هل كان بإمكان هذا السوار أن ينقذ حياة طفلها، أو على الأقل يرد إليها رجاحة عقلها؟ ولكن لا... لا يمكنها أن تفكر بهذا الشكل، لقد وعدت أمها بألا تفكر بهذا الشكل. فقد قضمت تلك الأفكار المظلمة حياتها، وكادت تدمرها بالفعل. إن عليها أن تعيش حياتها لحظة بلحظة. هناك لحظة واحدة هي الحاضر. الماضي ذهب، والمستقبل ما يزال أمامها.

وفي أثينا زارت صديقة طفولتها «لاليا»، لترى إن كان بإمكانها قضاء عدة أيام معها إلى أن تحصل على جواز سفر جديد.

«لاليا» التي كانت تعيش دوماً حياة عصرية جداً، لم تتزوج حتى الآن، ولم تترك عملها في تصميم النسيج، سرّت جداً لاستضافة أليسيا وخاصة لأنها تريد السفر بالطائرة إلى لندن في رحلة عمل. وهي بحاجة إلى مدبرة منزل للعناية بالقط البالغ الحساسية الذي تربيه.

قالت لها وهي تجمع أكياس السفر وأجرة التاكسي معاً:

- «زيتا» حساس جداً وهو يكره الفوضى. لهذا لا تستائي إذا رفض اللعب. قد يختبيء حتى عودتي إلى البيت.. أطعميه فقط وتظاهري بأن كل شيء هو طبيعي.

قالت أليسيا بشبه ابتسامة: «كأنه رجل».

- بمناسبة الحديث عن الرجال، كنت أظنك متزوجة؟.

- مجرد إشاعات. والآن اذهبي قبل أن تفوتك الطائرة ولا تقلقي لشيء سنكون، أنا وزيتا، منسجمين تماماً.

أول يوم بمفردها أمضته أليسيا نائمة غالباً أو في القراءة أحياناً. وفي اليوم التالي قامت ببعض الاتصالات التليفونية في مكتب إخراج جوازات السفر حيث طلبوا منها شهادة الميلاد، والحضور إلى المكتب شخصياً لتملأ الأوراق الرسمية.

وضعت سماعة التليفون مقرة صواب ذلك. كانت ترجو أن تتجنب الخروج بين الناس، ولكن إذا لبست قبعة ونظارات شمسية فلن يعرفها أحد.

زيتا، القط الأسود العديم الذيل، أطل برأسه من تحت ستار النافذة «الدانتيل» وأخذ ينظر إليها بعينين نصف مغمضتين.

وخيّل إلى أليسيا أنها رأت استنكاراً في عيني زيتا المنحرفتين، فأدارت له ظهرها. كل شيء على ما يرام، وهي لن تدع قطاً يثير لها أعصابها.

متاهة المكاتب الحكومية جعلت صبر أليسيا ينفد. لقد أمضت العصر كله تنتظر في صفوف طويلة تملأ أوراقاً رسمية ذات نسختين، لتبدأ من جديد في صف آخر دون نهاية. لقد تحول عصر ذلك اليوم الخريفي الرائع إلى عذابٍ بالغ.

بعد ثلاث ساعات من دخولها المبنى الحكومي، خرجت أليسيا بعد إبلاغها بأن جواز السفر، مع السرعة، سيستغرق إنهاؤه أسبوعين.

أسبوعان..

دخلت أليسيا إلى شقة لاليا، وأغلقت الباب خلفها ثم رفست حذاءها من قدميها وألقت بحقيبة يدها على الحذاء.

سارت حافية على أرض الردهة ومن هناك قصدت المطبخ وفتحت الثلاجة تخرج زجاجة مياه معدنية، وهي تنادي: «زيتا، هل أنت جائع؟».

لم يجب القط. ولكنها لم تتوقع منه أن يجيب.

سارت حافية نحو غرفة الجلوس حاملة زجاجة الماء، على أبسطة من تصميم لاليا.

- زيتا، أين أنت؟ أما زلت مختبئاً؟

وقفت فجأة، كان هناك رجل طويل، رجل عريض الكتفين يجلس على الأريكة.. لا بل يحتل الأريكة.. وفي حجره تكوّر قط أسود دون ذيل. كريستوس!.

* * *

٦ ـ حريق!

ـ مرحباً يا سيدة باتيراس. كيف حالك اليوم؟.

قال كريستوس هذا بلهجة طبيعية وادعة وهو يمرّ بيده على رأس زيتا الأسود.

حدقت إلى اليد العريضة السمراء المارة فوق رأس القط، وإلى الأصابع الطويلة القوية التي كانت تخمشه ببطء خلف أذنه القصيرة، ثم أخذت ترتجف وقد وهنت ساقاها. وانزلقت زجاجة الماء من يدها.

ـ كريستوس.

ـ إذن تذكرت.

قال هذا بحدة ماطاً شفتيه بعنف. ثم نهض بسرعة عن الأريكة فأوشك أن يلقي زيتا على الأرض: «لم أكن واثقاً من أنك ستتذكرين، ولكنني زوجك».

وابتسم لها، ولكنه لم يكن يبدو رقيقاً كما أن ملامحه كانت أشبه بالصوّان، وعيناه كانتا تلمعان بحدة.

أخذ زيتا يموء لإلقائه بدون احتفال عن مركزه المريح، لكن كريستوس تجاهل القط، ثم تقدم نحوها بسرعة عاقداً يديه بقوة.

www.elromancia.com

شعرت بغضبه، وطبعه الموشك على الانفجار، وتملكتها رجفة.

ـ آه..

ـ ما هذا يا حبيبتي؟ هل أكل القط لسانك؟.

دخلت مزحته إلى أذن وخرجت من الأخرى. لم تستطع أن تتكلم، وتخشّب لسانها وتوتر فكها. قَلَبَها الخوف رأساً على عقب، وبدلاً من ذلك هزت رأسها، وحولت نظراتها إلى الباب ومنه إلى كريستوس.

ـ إياك أن تحاولي ذلك، فأنت لن تستطيعي الابتعاد ولن تفلحي إلا في إغضابي.

ـ وهل أنت غير غاضب الآن؟

قالت هذا بعد أن وجدت صوتها، وفي نفس الوقت ذهلت للضعف في ركبتيها، اللتين تكادان تنهاران تحتها في أية لحظة.

ـ آه! أنا غاضب جداً، لكن أبي أقنعني بأن أعاملك بالرحمة.

الرحمة، يا لها من كلمة غريبة مخيفة لا يمكن أن تقال باليونانية!

اقترب كريستوس نحوها، ورفعت رأسها لترى وجهه وقد اكتشفت أنها نسيت طوله وحجمه.

ـ كيف عثرت عليّ؟.

فرفع حاجبه مظهراً الدهشة: «ألم تظني أنني سأعثر عليك؟».

ـ أنت لم تعلم أنني في داخل البلاد، أنت لا تعرف لاليا.

ـ لكنني أعرفك أنت.

ولمعت عيناه بقسوة، وتسمرتا على وجهها. وارتسمت على شفتيه أكثر الابتسامات التي رأتها حقداً.

ـ كنت أعلم أنك ستقدمين طلباً للحصول على جواز سفر. كنت أعلم أنك ستحاولين مغادرة اليونان.

لم تستطع النطق، بل أخذت تحدق إليه وقد جفّ حلقها واتسعت عيناها. لا تستطيع أن تفكر بشيء مفهوم، فقد ملأ ذهنها الخوف وأذاب عظامها. وهمست بعجز: «لا... لا يمكن أن يكون الأمر سهلاً إلى هذا الحد».

ـ كان ذلك بالغ السهولة يا حبيبتي، بمثل سهولة أخذ الحلوى من يد طفل رضيع.

ووقف أمامها ومد يده يرفع خصلة طويلة شقراء عن كتفها يتحسس نعومتها الحريرية بين إصبعيه: «ترين، يا حلوتي، أن لدي بيتاً هنا في أثينا وأنا أمضي فيه كثيراً من الوقت. قد يكون مركزي في نيويورك، لكن لي مكتب في أثينا أيضاً، ولدي موظفون في أثينا كانوا يراقبونك منذ لحظة نزولك من الطائرة في المطار إلى حين وصولك إلى الباب هنا.

ملأها الرعب، لقد أرسل من يتعقبها منذ أيام.. كانت تحت المراقبة، سجينة، وهي لا تعرف شيئاً.

أخذ يفتل خصلة الشعر على إصبعه ببطء ثم جذبها قليلاً فاقشعر بدنها:

ـ أنت خدعتني أمام زملائي وأصدقائي، وأذللتني في منزل باباس، وأحدثت ضجة. يجب أن تنالي عقابك، كيف أعاقبك؟ ماذا تقترحين؟.

استمر لسانها ملتصقاً بسقف حلقها، وقلبها يخفق: «لا».

فرفع حاجبه: «لا للاقتراحات؟ أم لا للعقاب؟».

كل ذلك الوقت كانت تعتقد أنها حرة، تلك الأيام القليلة الماضية شعرت بها جنة. لكنها ما زالت ملكه، وشعرت بأنها تريد أن تبكي قنوطاً: «لماذا ظننت أنني أريد أن أغادر اليونان؟».

ـ أنت تكرهين اليونان. تشعرين بنفسك سجينة هنا، تصورتك

تريدين السفر إلى انكلترا لتبحثي عن أسرة أمك.

وأخذ يفك خصلة الشعر عن إصبعه.

ـ أنت ماهر للغاية، أليس كذلك؟.

ـ لا، بل نواياك أنت واضحة للغاية.

ـ إذهب إلى جهنم.

فلامس وجنتها دون وعي تقريباً.

ـ لا تكوني طفلة، هذا لا يليق بك.

جفلت للمسته وابتعدت عنه بحدة.

ـ لا أصدق أنك أرسلت من يتعقبني.

ـ كيف تظنين أنني لن أحمي استثماراتي؟

النعومة في صوته، والبحة في نبرته كانتا متناقضتين تماماً مع ملامحه. كانت عيناه تنطقان بكل شيء، وهو أنها غدرت به.

ومدّ يده إلى جيبه وأخرج السوار الماسي الذي رهنته: «خذي أعيديه إلى معصمك».

انكمشت لرؤية السوار، وكرهت أن تتذكر سيطرة كريستوس عليها.

ـ لا.

ـ البسيه أو أنا سألبسك إياه.

ودون انتظار لجوابها، أمسك بيدها وأدخل السوار في معصمها النحيل.

بدا السوار متنافراً تماماً مع حذائها الجلدي وثيابها البسيطة ومع ذلك شعرت به ثقيلاً كالحديد فقد كان يقيّدها إليه مرة أخرى ويسيطر عليها.

قال لها بإيجاز: «لا تنزعيه، ولا تفكري في الهرب مرة أخرى».

ـ أرفض أن أكون (شيئاً)، يا كريستوس.

ـ أنت لست (شيئاً).. أنت زوجتي.

ورفع ذقنها بإصبعه وأخذ يتفحص ملامحها المتمردة.

ـ أنا أخطأت في الحكم مرة، لكنني لن أقترف نفس الغلطة مرة أخرى. لقد حان الوقت لأمارس حقي الزوجي، ولتتصرفي أنت كزوجة يونانية حقيقية.

كانت تعلم قبل هذه اللحظة بجزء من الثانية أنه سيعانقها. ولكن لم يكن ثمة مهرب لها، فقد أطبق عليها يعانقها عناقاً ثائراً توتر له جسدها وتحركت مشاعرها وشعرت بأنها، بالرغم من كل شيء، تريده.

رفع رأسه وحدّق في عينيها وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة:

ـ أنا بدأت أفهم لماذا سجنك أبوك، أنت عنيفة.. ومتهورة للغاية.

التهب وجهها، وحاولت أن تعود خطوة إلى الوراء، لكن يديه أمسكتا بخصرها، وغاصت أصابعه في ظهرها.

ومرة أخرى أطبق عليها يعانقها عناقاً حافلاً بالأحاسيس.

التصقت به، وتشبثت بذراعيه وشعرت بنفسها مجنونة بالمشاعر.

ـ حاولي أن تمنعيني.

وعاد إليها يعانقها جارفاً إياها إلى بحور أخرى..

شعرت به قوياً صلباً، فتعلقت به لا تجرؤ على التنفس، مسحورة بالصور التي كان يرسمها في خيالها، له، ولها، وللنجوم.

شعرت به يتوتر، ثم سمعت آهة رقيقة تصدر من بين شفتيه، وشعرت بنفسها تجتاز موجات من الأحاسيس، ودفنت وجهها في صدره.

لم يكن هناك سواهما، لا زمان سوى الآن، ولا شيء سوى هذا.

www.elromancia.com

لم يحدث هذا لها من قبل.

ـ أنا آسف.

قال كريستوس هذا بصوت عميق، ثم ابتعد عنها ووقف وهو يدعك وجهه بيده.

كان آسفاً، وكان مرهقاً. وهذا كان شعوره، لم يكن الأمر كما تصورت فما حدث بينهما لم يكن شيئاً بالنسبة إليه بل مجرد عمل جسدي، نوع من الرياضة. جلست ببطء وهي تحمد الله.. لأن هذه الفترة عندها كأنثي ليست فترة خصوبة وهي لن تحمل.

ـ هل أذيتك؟

ـ لا.

قالت ذلك مع أنها لا تنكر أنها أستجابت له بكل جوارحها راغبة في حبه.

وأخذ يمشط شعره بأصابعه:

ـ ارتدي ملابسك، فقد حان وقت ذهابنا. سائقي ينتظرنا في الطابق الأسفل.

لم يتكلم أثناء رحلتهما القصيرة بالسيارة إلى منزله، فقد شعر بتغير مشاعر أليسيا الكامل، محاكياً مشاعره.

لقد أفزعه تصرفه. ذهل لفرضه نفسه عليها. لقد تملكها دون اعتبار لمشاعرها، أو رغباتها.

تملكه الارتياح حين وقفت بهما السيارة أمام ضيعته. كانت القيلا الرخامية أشبه بالقصر، تلوح من خلف البوابات الحديدية والنباتات الخضراء الرائعة.

انفتحت البوابة بطريقة سحرية فدخلت السيارة متابعة سيرها. ولم يكد ينزل من السيارة حتى هرب مبتعداً عن عيني أليسيا المتهمتين قدر إمكانه.

لقد وعدها بأن يحترمها، وألا يفرض نفسه عليها. ولكن ما فعله كان عكس ذلك كلياً.

ألقت أليسيا بنظرة يائسة خلفها على السياج الحديدي العالي المزخرف، وبيت الحارس الملاصق للبوابة قبل أن تستدير لتواجه دزينة من الموظفين المجتمعين على درجات القيلا الأمامية.

أومأ كريستوس إليهم، ثم أشار نحو أليسيا عابساً.

ـ الزوجة.

أعلن ذلك باختصار قبل أن يتابع صعود السلم الدائري، تاركاً إياها لتلحق به أشبه بصبي أتى بعمل شائن.

احمر وجهها وسارت خلفه دون أن تنطق بكلمة، شاعرة بتفحص موظفيه البارد لها.

عندما وصلا إلى قمة السلم، أخذها كريستوس إلى قاعة شامخة، كان واضحاً أنها مكانه الخاص، ففيها مكتب، ومقاعد جلدية بذراعين، ومصابيح للقراءة.

أغلق الباب وقادها إلى أحد المقاعد الجلدية، حيث جلست بحذر على جانب المقعد، متسائلة عما سيحدث.

ـ أنا آسف إذ فقدت أعصابي، لقد تصرفت معك كالوحش. وهذا لن يحدث بهذا الشكل مرة أخرى.

كان حديثه حاداً قصيراً. اتكأ على الباب المغلق وقد عقد ذراعيه على صدره، مشدود العضلات، والتوتر ينبعث منه بأمواج صامتة: «لقد أنذرني أبوك بأنك ستحاولين الهرب. قال إنك ستستغلين أول فرصة سانحة، وظننتُ أنني جاهز لذلك. ومع ذلك تخليت عن حذري في الحفلة».

شعرت بالخجل، لأنها أدركت مبلغ المذلة التي تملكته في منزل قسطنطين فلا شك أن كل شخص أخذ يبحث عنها، وكل شخص

أدرك أن عروسه هجرته.

وتابع يقول: «اتصل بي أبوك، وقدم خدماته معتذراً عن سلوكك».

أحنت رأسها شاعرة بمزيد من الهوان، أبوها يتصل ليعرض خدماته! «لكنني طبعاً أجبته لا وشكراً».

وتقابلت نظراته بنظراتها وقد تحجرت ملامحه.

ـ قلت له إنك ستعودين في أقرب وقت وقريباً توفين بواجباتك وتنجبين لي الأبناء.

أسرعت خفقات قلبها، لكنها لم ترد، فتابع يقول: «سنبدأ بإنشاء تلك الأسرة ، وستثبتين لأبيك وللآخرين من اليونانيين أصحاب السفن، أن ثقتي بك لم تكن في غير مكانها، وأنك تعرفين وتقبلين مسؤوليتك».

ـ لا.

قالت هذا همساً، لكنه سمعه.

ـ لا ماذا، يا أليسيا؟.

ـ لا، لن أنجب لك أولاداً.

رفعت رأسها ونظرت في عينيه، «لا أبناء، ولا بنات، ولا وارثين».

ـ هل هذا موضوع فلسفي خاص بك؟ أم جزء من ثورتك على المجتمع اليوناني؟.

ـ إنه موضوع خاص بي.

ـ آه! يمكننا إذن العمل على معالجة هذا الأمر.

ـ لا، لا يمكننا ذلك. لقد تزوجت المرأة غير المناسبة، واخترت المرأة الخطأ. كان يمكن أن تملأ مكاني مئة امرأة، مئة امرأة كانت ستتوسل إليك أن تحمل أولادك. أما أنا، فلن أفعل.

لم تتبدد ابتسامته، فانزلقت إلى الخلف غريزياً، رغم أنه لم يتحرك من مكانه عند الباب.

ـ حاولت أن أكون صبوراً، يا أليسيا. حاولت أن أفهم شعورك، لكن صبري على وشك التلاشي، علينا أن نتقدم إلى الأمام. نحن بحاجة للبدء بإنشاء مستقبلنا.

اقترب منها بهدوء وجلس عند قدميها وأمسك يديها اللتين سرى بهما تيار كهربائي، التهب معه جسدها.

التقت عيناه بعينيها فابتسم وهو يرى التجاوب الذي ظهر عليها رغماً عنها. وجرى الدم حاراً في عروقها صاعداً إلى وجهها الذي توهج احمراراً. صعقها أنها ما زالت تريده.

ـ لا تفعل ذلك مرة أخرى.

قالت هذا وهي تصرّ على أسنانها.

ـ ماذا تظنينني سأفعل؟

قال هذا بصوت مبحوح، وشعرت بفمها جافاً، حدّقت في وجهه وقد أغرقتها الأحاسيس.

ـ هذه المرة لن أستعجل بل سأعاملك بكل رقة ممكنه.

وضع قبلة على خدها فحاولت أن ترفسه فأمسك بها:

ـ أنت أسوأ نوع من الرجال.

ـ أسوأ نوع؟ أحط من أبيك؟

وطبع قبلة على خدها: «يا للعار».

تصاعدت الحرارة في كيانها، وأوشكت أن تبكي إحباطاً، فلم تستطع أن تصدق أنها ترغب في رجل تكرهه إلى هذا الحد.

انتزعت نفسها منه بعنف وهربت من تحت ذراعه ووقفت وسط الغرفة مواجهة النافذة، وقال بهدوء وصوت جامد: «أنت لا

www.elromancia.com

ترغبين فيّ شخصياً، وأنا مدرك هذا، لكننا متزوجان، وعلينا أن نجعل الزواج ناجحاً».

أغمضت عينيها بشدة وكأنها تصمّ أذنيها عن صوته: «لن تحصل مني قط على ما تريد».

نهض واقفاً، لكنه لم يخرج. وشعرت بوجوده وكأنه ما زال يحتضنها بين ذراعيه.

- لا أدري ما الذي حدث بينك وبين زوجك الأول. لكن «جيريمي ونستون» فعل بك شيئاً...

- لا.

- لقد ألصق بك لعنة، جمّد قلبك، وأسرك كحكاية (الجمال النائم)، في البرج.

- أنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه.

- بل أعرف ما يكفي، أعرف أن زواجك انتهى بتحطم قلبك وأعرف أنك أمضيت حوالى سنتين في سويسرا، بعد أن تركت المصح، محاولة أن تجدي نفسك مرة أخرى.

شعرت أليسيا بدوار، وقالت: «لا يمكنني أن أتحدث عن ذلك».

- لماذا لا؟ ماذا حدث يا أليسيا؟.

- لم يحدث شيء.

- هل هناك...

- لا!

- شيء هائل... أسود...

دارت بها الكلمات... كلمات غائمة كاسحة وشعرت بأن الغرفة تدور معها، ولم تعد تسمع شيئاً.

استدعى لها كريستوس طبيباً، وبعد أن فحصها كلياً، أوصى لها

بالراحة، والفيتامينات ومزيد من الحديد، قائلاً إن النساء هن غالباً، مصابات بفقر الدم. وإذا أردن أن يلدن، من الحكمة، خصوصاً بالنسبة إلى أليسيا، أن تتعاطى مزيداً من الحديد.

- أنا لست مصابة بفقر الدم إلى ذلك الحد.

قالت هذا باحتجاج وذلك بعد يوم من زيارة الطبيب لها. وأمامها طبق لحم مقلي:

- يمكنني أن أحصل على الحديد من السبانخ، لست بحاجة إلى أكل طبق كبير من اللحم.

- لا يمكننا أن نحصل على أولاد إذا لم تكوني قوية.

- أنا قوية ولست بحاجة إلى أن أتخم نفسي باللحم لكي أنجب. والآن اعفني من هذا النظام المخيف، لا أريد منك أن ترهبني.

بدا واضحاً أن كريستوس كان يجاهد للسيطرة على نفسه:

- أنا لا أحاول أن أرهبك، أريد منك فقط أن تحاذري.

- أنا حذرة، وضجرة وأريد هواءً نقياً، طبعاً إذا كان هذا يناسبك.

أخذ يتمتم بشيء وهو يهز رأسه، متلهفاً إلى إنهاء هذا الحديث:

- يمكنك أن تذهبي إلى بركة السباحة، فسأرسل الخادمة لتضع منشفة لأجلك على الكرسي المستطيل، ولكن لا تبقي طويلاً في الشمس كيلا تصيبك الحروق.

جرّت أليسيا المقعد المستطيل الموضوع تحت المظلة ومضت به قرب البركة. فهناك يمكنها الاستمتاع بتألق أشعة الشمس على المياه الصافية الزرقاء. وكانت أحضرت معها كتاباً، لكنها وجدته كتاباً تاريخياً يتطلب تركيزاً لا تستطيعه حالياً، فبعد نصف ساعة من القراءة، ألقت برأسها إلى الخلف وأخذت تستمتع بعدم القيام بشيء.

شعرت بروعة الشمس على ظهرها والقسم الأعلى من زيّ

www.elromancia.com

السباحة ذو القطعتين الذي ترتديه. تلوّت داخل المنشفة مستمتعة بالشمس الدافئة، ثم استسلمت للنوم.

بعد ذلك بزمن لا تعرف مداه، شعرت بلمسة جميلة كالريش على ظهرها.

تنهدت وهي تستكين داخل المنشفة، لأنها لا تريد أن تفقد هذا الإحساس اللذيذ. وتكرر اللمس البطيء فتوتر جسمها، تنفست ببطء لا تريد أن تفتح عينيها كيلا تفقد هذا الإحساس الحالم.

أخذت هذه الملامسات الخفيفة تمرّ على ذراعيها فتلوت قليلاً ولكن اللمسة ما لبثت أن تحولت إلى كف عريضة.. لم يكن هذا حلماً فقفزت جالسة.

- كريستوس.

انتقل الظل المستطيل، مفسحاً المجال لأشعة الشمس حيث كان الظل.

وجلس بجانبها على الكرسي المستطيل..

- كان عليك أن تدهني جسمك بمحلول مضاد لحروق الشمس. لقد أمضيت هنا ساعات وأحرقت جلدك.

نظرت إلى معصمها، لم تكن حوله ساعة، وكان معرضاً للشمس.

- كم الساعة الآن؟.

- الرابعة إلا ربعاً.

- ماذا؟

وأخذ يراقبها باستمتاع وهي تسوّي من ثوبها بارتباك.

- ربما عليّ أن أساعدك.

- لست بحاجة لمساعدتك لي.

- أنت بحاجة لوضع شيء على الحرق. لا أظنك تحبين أن

يتقرح جلدك.

- لم يتقرح قط من قبل.

وقفزت واقفة، وتمسكت بمنشفتها ثم ارتدت الروب بأقل ما يمكن من الكشف عن جسدها، وهي تقول: «لكنني لا أظن أن بإمكاني أنا ذلك، لسوء الحظ».

شعرت بالروب الحريري بارداً كالثلج على ظهرها الساخن واقشعر جسمها وهي تربط الحزام حول خصرها.

- في أي ساعة يحين العشاء؟.

- الشراب في السابعة، والعشاء في التاسعة.

لقد وعدت بأن تكون موجودة، مصممة على الاجتماع به، لكنها لم تحسب حساب حروق الشمس، وكانت هذه حروقاً حية.

ساعدها الحمام الساخن في البداية، ولكن حالما جففت نفسها بالمنشفة بخفة، حتى شعرت بظهرها حاراً كالنار، حتى أنها لم تستطع أن ترتدي بنطلوناً دون أن تدمع عيناها، وأربطة صدارها أخذت تحز جلدها الذي أصبح الآن متقرحاً. لا شيء في خزانة ملابسها بدا مريحاً. خلعت صدارها، وملابسها بحذر، ثم تكورت بين ملاءات السرير الباردة المنعشة. فليذهب العشاء إلى جهنم، وهي ستبقى في السرير.

منعتها كبرياؤها من استدعاء كريستوس، وهكذا لم تنزل الساعة السابعة إلى غرفة المائدة.

في السابعة والربع، جاء هو إلى باب غرفة النوم، ولكنه لم يكلف نفسه عناء قرع الباب، وإنما سار إليها مباشرة:

- نظراً لمعرفتي بولعك بالهرب، فكرت في أن أرى إن كنت ما تزالين معنا.

فرفعت أليسيا ملاءة السرير إلى ذقنها:

- أنا ما زلت هنا، كما ترى.
- ولكن في الفراش.
- نعم.
فسألها بابتسامة عريضة:
- هل هذه دعوة، من باب المصادفات السعيدة؟
- لا.
- ولكن يبدو أنك عارية.
- لأن حروق الشمس منعتني من ارتداء ملابسي.
تقلصت معدتها وتوهجت وجنتاها:
- هل تريد إثباتاً؟.
- نعم، من فضلك.

* * *

٧ - لن أحتاج.. إليك

وخزها إحساس في قلبها يتعارض مع الحرارة التي كان جلدها يتوهج بها وجاهدت لتنكر مشاعرها هذه.
- لن أرفع عني الأغطية لأريك حروق الشمس.
- لم تخرجي إلى الشمس منذ أكثر من عام وقد تكون حروقك من الدرجة الثانية أو الثالثة.
- أنت تبالغ. ربما أشعر بقليل من الألم لكنها مجرد حروق.
- أنا الذي أحكم على ذلك.
وسار كريستوس إلى حافة السرير ونزع الأغطية. انقلبت على بطنها شاعرة بالمذلة لأنه يفعل ذلك رغم إرادتها وقالت بضيق: «إنها مجرد حروق شمس كما أخبرتك. والآن هل لك أن تسمح لي بشيء من الانفراد من فضلك».
- جلدك مقلي إلى درجة الجفاف.
قال ذلك وهو يلمس ظهرها باصبعه. فأجفلت للمسته ألماً.
- أرجوك. أعد الأغطية.
- ليس قبل أن أضع شيئاً على ظهرك أولاً. لدي مرهم مضاد للألم سيفيدك.
قال ذلك ثم توجّه إلى الحمام ليعودَ بمنشفة على ذراعه

www.elromancia.com

ومرهم في يده.

وضع قليلاً من المرهم على بشرتها ثم بدأ بتدليكها فشعرت بذلك مهيناً لها ولكن ذلك لم يمنعها من الاستجابة. فكل احتكاك من أصابعه كان يحرّك مشاعرها وعواصفها.

قالت بحدة: «هذا يكفي».

ـ هل أنت متأكدة؟ لا أريد أن أزعجك.

بدا أن الهواء المنعش البرودة أخذ يداعب بشرتها فأخذت تجاهد للسيطرة على نفسها كيلا تتلوى وشعرت بالمهانة.

ـ بل أنت الذي تزعجني باحتكاكك بالحروق.

ضحك برقة ولم يجب ثم فتح سدادة أنبوب المرهم وجلس على السرير بجانبها.

كانت واعية لقرب كريستوس منها وكل خلية في كيانها شاعرة به وكأنه الشمس وهي القمر.

فرك المرهم بين يديه، ثم وضع منه على ذراعيها. . كان قلبها يخفق بسرعة وحواسها تشتعل. . لقد أرادت أن يضمها رغم خوفها من ذلك.

ـ لا تتحركي.

أمرها بذلك وهو يميل إلى الأمام: «قد يلذعك هذا قليلاً».

يلذع؟ شعرت بالمرهم كالثلج لكنها تلوّت لتهرب من تلك الأحاسيس المتراوحة بين البرودة والحرارة، لكنه لم يدعها تهرب بل استمر يضع المرهم بلمسات بطيئة ثابتة.

وشيئاً فشيئاً بدأ مفعول المخدر يسري فخدّر الألم وجعلها عرضة فقط للشعور به ولقربه منها وتسللت الحرارة إلى كيانها. ولكنها حرارة لا علاقة لها بحروق الشمس بل به هو. ثم شعرت بأنها لا تستطيع أن تتنفس كما يجب، لأن هذه اللمسات كانت تثير مشاعرها

وغيظها في آن واحد.

فجأة جذبت نفساً قصيراً قائلة بصوت مختنق: «شكراً».

فقال وهو يمّسد كتفيها ورقبتها بخفة: «لم أنته تماماً».

أجابت بصوت بطيء غليظ: «ذلك حسن».

ولكن كيف يكون غير ذلك؟ كانت خفقات قلبها تتسارع وجسدها يرتجف من رأسها حتى قدميها. . أرادت أن تحتج فلم يخرج من فمها صوت.

إذا كان صحيحاً وجود «مطهرّ» للنفوس في الآخرة. فقد وجدته هنا فهي تجد نفسها الآن معلقة بين الجنة والنار، تريده أن يتوقف بقدر ما تريد العكس.

تمتمت شاعرة بالمهانة: «لا تفعل».

ـ أتريدين أن أتوقف؟

ـ لا. . لا.

كلفها الاعتراف كثيراً ولكنها كانت الحقيقة. حتى دون تمكنها من رؤية وجهه أحست بابتسامته لكنها لم تهتم هذه المرة مع أنه كان ينبغي عليها أن تكون أكثر تحكماً وأن تخبره بلهجة لاذعة بأنها لا تتحمل وجود يديه على ظهرها وكتفيها.

ثم تركها فجأة فإذا بها تشعر بأنّها تطير وتدور حول نفسها من دون أن تتمكن من السيطرة على مشاعرها.

لقد أذهلها تأجج مشاعرها إلى هذا الحد. فضغطت فمها المفتوح على ذراعها ليعيدها ذلك إلى الحاضر. . وتمنت لو تدفن وجهها في الوسادة تختبىء منه، لكن ذاك لم ينفعها فهو ينتظر منها أن تتكلم، ينتظر شيئاً.

أدارت رأسها ببطء شاعرة بثقل في عينيها وبنعاس وأخذت تحدّق في كريستوس وكانت نظراته تبدو هادئة ناعسة هي أيضاً.

لقد استمتع بذلك... لقد استمتع بجعلها تسقط محطمة بين يديه. بللت شفتها بلسانها مسحوقة لضعفها هذا وكان هو ينتظر منها أن تتكلم فتمسكت بأول شيء خطر ببالها:

ـ كان هذا حسناً.

أسبل أهدابه يخفي بذلك مشاعره:

ـ لا بد أنني لم أتمرّن منذ وقت طويل وعلي أن أتابع ذلك.

وأومأ ناحيتها ثم غادر الغرفة تاركاً إياها وحدها في السرير.

كانت الآلام المبرحة تثقل نومها في تلك الليلة. وقد غدت بسبب ارتفاع درجة حرارتها وكأن النار تشتعل تحت جلدها. استيقظت مرة فوجدت كريستوس بجانبها وفي يده حبات الأسبرين، أخذت ذلك شاكرة وسمحت له بأن يرش ظهرها بمحلول يزيل ما تشكو منه من آلام. وعندما خرج، غرقت في نوم عميق.

أحضرت لها خادمة صينية الإفطار في السرير، فأكلت أليسيا الشمام والكرواسون وهي جالسة، لا تتحرك إلا بحذر شديد حين الحاجة.

دخل كريستوس إليها للحظة قصيرة، مرتدياً بذلة وربطة عنق، وقد مشط شعره القاتم إلى الخلف، مبرزاً صلابة ملامحه.

ـ كيف حالك؟

ـ أحسن قليلاً.

ـ حذرتك من الشمس.

لقد فعل ذلك طبعاً، فهو رأس كل حكمة، ولكنها صرفت بأسنانها تقاوم رغبتها في أن تجيبه متهكمة.

ـ إذا احتجت إلي، أنا في مكتبي.

ـ لن أحتاج إليك.

فهز كتفيه: «تقولين ذلك، لكن أفعالك تناقض أقوالك».

ثم غادر الغرفة.

أدركت وهي تغوص في سريرها أن الحق معه فقد شعرت بنفسها منقسمة تماماً إلى شخصيتين في جسد واحد. إحداهما ترغب في الطهارة وتهذيب الذات، والثانية تتوق إلى الحب والمشاعر المحمومة. وسيكون أمرها دوماً بهذا الشكل، أيضاً. عندما كانت صبية صغيرة كانت تشعر بالحاجة إلى العطف، والرغبة في الحنان. ولكن برود أبيها وانتقاده جعلاها تشعر بالخجل من مشاعرها فكان أن تحولت رغباتها الصغيرة إلى أشياء خاطئة ممنوعة.

على الابنة أن تخدم.. على الابنة أن تسكت دوماً.. على الابنة أن تضحّي.

وأعلن أبوها بوضوح أن أليسيا فشلت في هذه الأمور الثلاثة، وكانت كلما كبرت في السن، كلما ازدادت مقاومتها لطبيعة مشاعرها المحمومة. وأخذت تكافح لكي تنكر ذاتها، ولكي تكون كما يريدها أبوها. دوماً كانت موهوبة في الرسم، فالتفتت إلى دفتر التخطيط الكبير الحجم، مفرغة طاقتها في رسومات لا تنتهي، وصور لأفراد الأسرة والخدم، وتخطيطات لأولاد الجيران ومناظر البحر والصخور.

حصولها على منحة مدرسية كان استجابة لدعائها، وقد ثار غضب أبيها لأنها قدمت طلباً بذلك. لكن أمها أقنعته، بشكل ما، بأن يدعها تذهب. وعندما أصبحت في باريس تقبّلت كل ما هو جديد، مستمتعة بوجودها بين مجموعة منتقاة من الفنانين والأدباء الذين كانوا يتحدثون في كل شيء إلا في اكتساب المال. كانوا ممتعين محمومي المشاعر، مهرة ومبدعين. وكان جبريمي واحداً منهم، فهو دوماً عصب المجموعة، ظريفاً وسيماً عديم الشعور بالمسؤولية على الإطلاق، وقد عشقت ذلك فيه. عشقت حقيقة أنه لا يمكن أن يحسن عملاً... ولا يريد ذلك. كان أقل من عرفتهم من الناس انضباطاً.

لم تطل مدة تعارفهما إذ سرعان ما تزوجا ولأنها ما تزال فتاة يونانية، كان همّها أن تكون زوجة ثم أماً.

وهكذا أصبحت زوجة وأماً.

تكوّمت أليسيا على جنبها تحت الملاءة القطنية الباردة، فقد بدت لها أيامها في باريس بعيدة جداً، وجيريمي أصبح مجرد اسم لرجل عرفته يوماً ما.

ما أغرب أن تكون عاشت تلك الفترات من حياتها التي لم تعد موجودة. لقد ذهبت تلك الفتاة اليونانية الشريفة وبقيت فقط تلك المؤمنة بمذهب البهجة في الحياة دون اعتبار لأي شيء آخر.

هذه الفتاة قررت أنها تريد كريستوس، وأرادت الآن أن تبقى مع كريستوس مهما كلفها الأمر.

كان يريد زوجة، وستكون زوجته، لكنها لا تريد أولاداً. فقد أعطاها الطبيب حبوباً مانعة للحمل. وستكون قادرة خلال ستة أشهر على استعادة عافيتها. إنها إذن آمنة لمدة ستة أشهر، وبعد ذلك سترى طبيباً آخر يجدد لها الوصفة الطبية.

استطاعت أليسيا، في آخر النهار، أن تستحم وترتدي ثيابها. لبست ثوباً قطنياً وحذاءً منخفض الكعب، وفي قاعة الطعام الرسمية تناولت العشاء وحدها، وأخذت تطوف في الحديقة حتى سمعت صوت بوق سيارة من بعيد.

توالى وقع أقدام على الممر الحجري، فالتفتت لترى كريستوس خلفها. كان قد غير بذلته إلى بنطلون من الكتان وقميص قطني بلون القشطة. وكان هذا اللون يتلاءم مع لون بشرته وسواد شعره. وقال:

ـ آسف لتأخري، هناك مشكلة في مكتبي الرئيسي في نيويورك.

كانت سيماء السخرية ظاهرة عليه، ولكن بهدوء. وكأن كل شيء في نظره مجرد نكتة. أصابها ذلك في الصميم، فقد كانت تعلم

بأن هناك شيئاً حقيقياً يربط بينهما، ويبدو أنهما لم يتمكنا من تخطي العوائق بعد.

ـ كنت بخير، فأنا ماهرة في إلهاء نفسي.

أوماً بخفة، مدركاً ما تضمنه قولها هذا من أنها تعلمت كيف تشغل نفسها لتبعد عن طريق أبيها.

ـ أنا مضطر إلى أن أكون في نيويورك غداً، سنرحل الليلة.

شعرت بحماسة بالغة، وشعور غريب بالأمل لكنها سخرت من توقعاتها. بداية جديدة في مكان جديد لا تعني بداية في كل شيء، فالمشاكل ستتبعهما، والخلاف سيبقى.

ولكن ربما هذا لن يحصل، وربما بعيداً عن اليونان يمكنهما ممارسة حياة جديدة.. إنها تشعر أن كل شيء هنا فاسد، إنها تشعر حتى بنفسها فاسدة، ولكن الأمور تتغير، ومن الممكن أن تتغير هي الأخرى معها. وستضاعف من مجهودها في هذا السبيل.

ـ لقد سبق أن طلبت من مدبرة المنزل أن تحزم أمتعتنا، وسنغادر في أسرع وقت.

ولكنه تردد عابساً:

ـ هنالك شيء آخر، أبوك أراد أن يزورنا الليلة ليودعنا، لكنني لم أقبل، وأظنك توافقينني على ذلك.

* * *

هبطت طائرة كريستوس الخاصة برفق وهدوء بالغين في المطار الخاص حيث نزلا من الطائرة ليصعدا على الفور إلى سيارة الليموزين الواقفة في انتظارهما.

كان الفجر قد بزغ لتوه، وأثناء رحلتهما القصيرة إلى بيته الريفي في «دارين» في ولاية كونيكتيكت، كان يرد على اتصالات تليفونية، وفي هذا الوقت كان يحدثها أيضاً وهو يميل إلى الأمام، مشيراً إلى

المعالم الهامة في الطريق.

وفي عتمة البكور، كان من الصعب عليها التمييز جيداً. لكنها استطاعت أن تميّز البوابات الحديدية المزخرفة، والجدران الحجرية والأراضي الواسعة والأفنية المشذبة اللانهائية. ورغم نشأتها التي يحيط بها الثراء، إلا أن المزارع الأميركية تركت فيها أثراً بالغاً.

لكن منزل كريستوس، بدلاً من أن يكون مشرفاً على مناظر خضراء فسيحة، كان مستكيناً بجانب هضبة خضراء وكأنه يلتمس الراحة في هذه الأرض الوعرة بمشاهد المياه وغابات أشجار البلوط والصنوبر الصغيرة الرائعة.

قال لها وهو يرى التعبير البادي على وجهها: «إنه ليس كما كنت تتوقعينه».

وهو لم يكن كذلك، فقد كانت تتوقع شيئاً فخماً، قصراً آخر مبنياً من الرخام المصقول، بدلاً من هذا البيت الريفي ذي الطابقين المصنوع من الحجر والألواح الخشبية، الذي تميزه نوافذ كبيرة بارزة رائعة الجمال ومداخل أبواب مسقوفة. كما أظهر ضوء الصباح الباهت إفريز السطح المتدلي. كان أشبه ببيت حكايات الجن الخرافية. وكان يحيط بالمدخل ورود متسلقة وافرة.

فتحت الباب امرأة متوسطة السن، ترتدي ثوباً أسود بسيطاً، وتعقد شعرها الأبيض إلى الخلف ببساطة. ظنت أليسيا أنها مدبرة المنزل، لكنها كانت مخطئة، لأن كريستوس أمسكها بكتفيها وقبلها على وجنتيها وهو يقول لها:

ـ أمي، ماذا تفعلين خارج سريرك في مثل هذه الساعة؟.

ـ كنت أنتظرك قرب الباب.

ـ هكذا إذن.

شعرت أليسيا بالحرارة ثم بالبرودة، إنها ليست مدبرة المنزل بل

أمه. وفجأة، فقد طراز هذا المنزل الذي يشبه بيوت الحكايات الخرافية، سحره.

أجرى كريستوس التعارف بينهما، فحيّت أمه أليسيا بمودة هادئة وهو شيء لم يدهش أليسيا على الإطلاق. لأن الحماة في اليونان مشهورة بقسوتها على الكنة. والأمهات اليونانيات يعشن لأجل أبنائهن ويعتبرن من واجبهن أن يعلّمن زوجاتهم إدارة منازلهن وكيف يقمن بواجباتهن المنزلية.

التفت الأم إلى ابنها تسأله: «هل هي مريضة؟».

ـ لا يا أمي، إنها نحيفة فقط.

ألقت الحماة نظرة ارتياب على جسم كنتها ووجهها الشاحب وعادت تسأله:

ـ هل استدعيت لها طبيباً في أثينا؟.

ـ نعم، لكن الطبيب طمأنني إلى أنها لا تحتاج إلا إلى الحديد، ووصف لها بعض حبوب الحديد وهي ستشفيها.

ازدادت الصرامة في ملامح الأم، وألقت يديها في الهواء:

ـ ظننتك تريد أسرة، يا كريستوس. أطفالاً، أليس كذلك؟ ولكن النساء الجلد على عظم غير صالحات للإنجاب، أنت بحاجة إلى فتاة يونانية جيدة، وليس إلى واحدة من أسرة ليموس!.

لقد توقعت أليسيا حماة باردة هادئة، وناقدة ربما، لكن هجوم السيدة باتيراس الكلامي عليها تركها خرساء شاحبة الوجه، مقشعرة الجسد.

قال كريستوس مستنكراً بهدوء: «رفقاً بها يا ماما، أرجوك. يجب أن تمنحي أليسيا فرصة».

ـ أنا أعرف كل شيء عنها. أعرف أنها لا تلائمك. عليك بفتاة يونانية جيدة، يا كريستوس، فتاة جيدة.

نظر كريستوس إلى أليسيا، فتقابلت أعينهما بسرعة.

ـ إنها فتاة جيدة، يا أمي.

أجابها بذلك بملامح جامدة، وعينين غامضتين، قبل أن يعود فيلتفت إلى أمه التي قالت: «لكنها ابنة ليموس».

ـ نعم.

ـ فكيف تكون هي الملائمة لك إذن؟.

* * *

٨ ـ تخاف من قلبها

ذهبت الأم، وأغلق هو الباب قائلاً بفتور:

ـ ستكون كأحسن ما يكون. إنها، فقط، بحاجة إلى وقت.

لم تجرؤ أليسيا على معارضته، فهي تعلم أكثر من غيرها أن الوقت لا يشفي دوماً، بل يجعل البعض أحياناً أكثر مرارة، لكنها لا تستطيع أن تقول هذا له كما أنها لا تستطيع انتقاد أمه كذلك. فالأمهات، خصوصاً اليونانيات، هن فوق الملامة.

ولأنها شعرت بأنه مرتبك، حاولت أن تخفف التوتر فسألته: «هل تريد قهوة؟».

ـ نعم، على أن أصنعها أنا، لأنك الضيفة.

الضيفة! ليست زوجته بل مجرد ضيفة.

وفي المطبخ أخذت تنظر إليه وهو يطحن القهوة ويملأ الإبريق بالماء. ونظر إليها متأملاً:

ـ أليسيا، من الأفضل ألا تتحدثي عن أبيك هنا أو أمام أبويّ.

ـ لا أفهم، هل هناك شيء ينبغي أن أعرفه؟.

ـ نعم.. لا، هذا غير مهم، إفعلي فقط ما أقوله.

كان بإمكان أليسيا أن تسمع صدى لهجة أمه اللاذع في رأسها، (فتاة جيدة وليس من أسرة ليموس). ارتجفت، ثم قالت شاعرة بخدر

www.elromancia.com

في جسمها: «هذا أمر شخصي. ماذا حدث؟ ماذا فعل أبي؟».

هز كريستوس كتفيه بضيق: «كان ذلك منذ وقت طويل».

ـ ليس منذ وقت طويل لأن أمك لا تنظر إلي دون أن تلعنني.

ـ لم يكن الأمر بهذا السوء.

ـ قريب من ذلك بما يكفي.

ورفعت رأسها وقد تملكها الذعر لاكتشافها أنها على وشك البكاء. شعرت فجأة بالخوف، فقد بدأت تشعر نحو كريستوس بأشياء لم تشعر بها نحو أي رجل، حتى جيريمي، فقد اخترق كريستوس دفاعاتها وجذب الحجر من حول قلبها. فإذا كرهتها أسرته، فإنهما سيقعان في مأزق خطير.

ـ لديّ الحق في أن أعرف، بصفتي زوجتك.

ـ لقد حرم أبوك على أبي أن يعمل في «أونوساي» فأصبح اسمه في اللائحة السوداء، ولم يعد يستطيع العثور على عمل في الجزيرة على الإطلاق.

فشعرت أليسيا بغصة: «كيف؟ ولماذا؟».

ـ كان أبوك متورطاً بعمليات غير أخلاقية...

أغمضت عينيها حتى لا تسمع المزيد. إذن، كريستوس يعلم. كان أبوها، في تلهفه إلى الثراء، قد استأجر رجالاً لتعطيل سفن منافسيه من المالكين الآخرين بهدف تأخير رحلاتهم. وعندما لم تكن السفن تستطيع الإبحار، كان يندفع ليتولى الأمور بنفسه.

ـ هل أخبرك قسطنطين بهذا؟.

ـ لا، كنت أعلم ذلك قبل أن أعمل مع قسطنطين بوقت طويل، فقد كان أبي أحد اللحّامين المستأجرين لتفكيك أجزاء من سفن قسطنطين.

ـ كان عليه أن يذهب إلى الشرطة.

همست بذلك وقد تملكها شعور بالغثيان للأشياء الفظيعة التي كان أبوها يقوم بها باسم الأعمال.

ـ لم يفعل ذلك بسبب احترامه لوالدتك.

شعرت ببرودة تسري في جسمها، وقالت:

ـ أظن أن أمي كانت ستشكره على ذلك.

ـ لا تقلقي، فقد حسمنا، أنا وقسطنطين، ديوننا مع أبيك وهذا هو السبب في أننا أخذنا نعمل معاً. كنا، نحن الاثنان، بحاجة إلى بعضنا البعض، وبمساعدته لي، تمكنت من أخذ ثأري.

واتكأ على المنضدة وابتسم، ولكن لم يكن في عينيه بهجة، ولا في شفتيه رقة: «لقد حصلت عليك».

وعلى ثروة أبيها.

أغمضت عينيها شاعرة بالدوار، فقد شعرت بنفسها حمقاء، وها هي ذي تقع في غرام كريستوس، بينما هو يتمم انتقامه. كم كانت معتوهة! إنها لم تستطع قط أن تفصل بين جسدها وقلبها. وأضاف هو متوتراً:

ـ أبوك متلهف للحصول على أحفاد. وهو سيحصل عليهم، لكنهم سيكونون من أسرة باتيراس، وليس ليموس. لن يكونوا من ليموس أبداً.

لفت ذراعيها حولها شاعرة بالجليد في داخلها وقالت بعنف: «أي أولاد، ومن أين؟».

ـ أنا أعرف أنك قلت إن ليس بإمكانك إنجاب أولاد، لكنك لم تذهبي قط إلى اختصاصي في أمراض النساء. بإمكان الأطباء الإتيان بالمعاجز، هذه الأيام، ثمة تقدم...

ـ كفى كلاماً عن الأطباء والتقدم، واستمع إليّ.

ـ أنا أستمع، لكنك لا تقولين شيئاً.

- بل أقول، لكنك لا تريد أن تسمع، أنت تريد أن أكون مثل أمك. تريد أن أبقى في البيت وأهتم بشؤونه.

- نعم، بالضبط.

- ولكن هذا ما تريده أنت، لا ما أريده أنا. لا يمكنك أن تملي عليّ حياتي يا كريستوس. إن لديّ عقلاً أريد أن أستعمله.

- استعمليه بخلق بيت لنا، وأسرة لأجلنا...

انفتح الباب الخلفي فسكتا. وجاء صوت مبتهج يصيح مرحباً، فجذب كريستوس نفساً ممزقاً وظهر الغضب على وجهه وهو يعلن: «السيدة «أڤيري»».

حدقا في بعضهما البعض وهما يهتزان بوضوح، أخذ كريستوس يرشف قهوته بينما أخذت أليسيا تسوّي تنورتها محاولة أن تهدىء أعصابها.

لقد تزوجها لأجل جسدها، ولقدرته على إنجاب أولاد، وهي لن تنجب أولاداً. ربما هذا كان ممكناً منذ سبع سنوات أما الآن، فلا.

تصاعد وقع أقدام مدبرة المنزل وهي تدخل المطبخ، مشغولة بربط مئزرها فوق ثوبها الأحمر البراق. وسألت قبل أن ترى أليسيا: «الإفطار؟».

فأجاب عابساً: «نعم، من فضلك».

فتهلل وجه المرأة الممتلىء فجأة، باسماً:

- السيدة باتيراس الجديدة؟

ألقى كريستوس على أليسيا نظرة غامضة:

- نعم، في الواقع، يا سيدة «أڤيري»، والآن بما أنك هنا، سأترك السيدة باتيراس الجديدة بين يديك القديرتين.

سمعت أليسيا صوت الباب يضرب أثناء جولتها في أنحاء المنزل مع السيدة أڤيري فجفلت واستدارت نحو الصوت.

- لا تقلقي، إنه السيد باتيراس خارج إلى عمله.

وبابتسامة متألقة تابعت جولتها تري أليسيا المنزل.

كان البيت الأساسي قد أنشىء منذ أكثر من مئتي عام، وقد وُسّع وأُعيد بناؤه في القرن الماضي. كانت الغرف كلها فسيحة متناسبة، وارتفاع السقوف يبلغ أربعة أمتار تقريباً، ولكن نوافذها بالغة الاتساع توفر الضوء وتطل على مشاهد بديعة.

ولكن كان من الصعب أن تشعر بدفء الشمس بينما الجليد يستقر في قلبها. من الصعب أن تستمتع بهذه الرفاهية بينما لا تستطيع أن تنسى آخر حديث لها مع كريستوس. كانت تعلم أن ما يريده هو زوجة تقليدية، زوجة كأمه، زوجة تحمل له أولاده.

وكما سبق أن خذلت أباها من قبل، فسوف تخذل كريستوس، لأن الأشياء التي يريدها منها لا يمكنها أن تعطيها إياه.

اتصل كريستوس وترك لها خبراً مع السيدة «أڤيري» بأنه لن يكون في البيت قبل السابعة والنصف. كانت السيدة أڤيري، عادة، تغادر المنزل في السادسة، ولكنها الليلة تبرعت بأن تبقى وتقدم العشاء الذي سبق لها إعداده. غير أن أليسيا طمأنت المرأة إلى أن بإمكانها هي أن تقدم الطعام بشكل جيد، وهكذا أرسلتها إلى بيتها.

وعندما أصبحت وحدها، أخذت تعد المائدة ببطء، مستعملة الأطباق الخزفية الصينية والبلّور. وطوت الفوط بعناية.. لقد أمضت العصر وهي تستعيد ما حدث بينهما في المطبخ. وتسترجع قول كريستوس بأن أسرته عانت على يدي أبيها، وبانه تزوجها، ليس لثروتها فقط، بل ليلزم أسرة ليموس بدفع الثمن ويأخذ اسم ليموس نفسه.

وقد دفعت هي الثمن لأنها ابنة أبيها.

أشعلت الشموع على المائدة، شاعرة بالخدر في جسمها،

وهزت يدها تطفىء عود الكبريت، عندما ظهر كريستوس عند مدخل غرفة الطعام.

التفتت، ورأت الإرهاق يترك خطوطاً عميقة حول فمه وعينيه. نظر إلى الورود وسط المائدة، والمشهد الأنيق أمامه، فقال: «لا بد أن السيدة أڤيري تظننا نستمتع بشهر العسل».

سمعت السخرية في صوته لكنها رفضت أن تشعر بالضيق.

ـ أتريد كأساً من الشراب، قالت السيدة أڤيري أنك تحبه مع العشاء.

فأومأ بالرغم عنه: «لا بأس إذن»

سكبت له كأساً ناولته إياها، فتجنب لمس أصابعها، ثم أخذ يدور حول المائدة وهو يرشف شرابه. متأملاً تنسيقها للأزهار، وفوط السفرة، وتألق البلور في ضوء الشموع، ثم قال:

ـ هل نحن نحتفل بشيء؟.

ـ لا.

وشعرت بنفسها تحمرّ خجلاً وارتباكاً، فقد حاولت أن تسرّه.

ـ ألم تعجبك المائدة؟

ـ تبدو وكأنها سببت لك إزعاجاً كبيراً.

ـ لم يكن فيها أي إزعاج، لقد نشأنا على أن نعد المائدة الرسمية بأنفسنا بما في ذلك الشموع والفوط.

ـ آه، نعم! حياة الأغنياء والمشهورين.

لسعها تهكمه فاحمر وجهها: «لا يمكنني أن أغير نفسي».

ـ تماماً كما لا يمكنني تغيير نفسي.

وأخذ يرشف كأسه.

ـ ليس من السهل أن أكون الابنة الوحيدة لداريوس ليموس.

ـ لا، طبعاً لا. لا بد أن غناك كان أمراً فظيعاً.

ـ كنت مدللة مترفة.

وابتسمت له: «كنت أتعشى كل يوم بكؤوس البلور والشموع».

ـ لم نكن نستطيع شراء البلور. أما الشموع فهي سهلة.

شعرت بالتوتر وأخذت ترتجف داخلياً، وانحنت فجأة إلى الأمام تطفىء الشموع التي أشعلتها لتوّها.

ـ هل هذا أفضل؟.

ـ ما كان لك أن تفعلي ذلك.

ـ هذا صحيح، ولكن هذا ما تريده أنت، ولا بد أنك ستعاقبني في كل فرصة تسنح لك. إنك ستستغل كل فرصة لكي تطبع في ذهني نشأتك التعسة، والغنى المقزز للنفس الذي كنا نحن فيه. أنت، كنت تعمل بشكل شاق لكي تنتج شيئاً بجهودك، وأنا كنت مجرد طفلة غنية مدللة بحاجة إلى مستشفى وأطباء لتثبيت احترامي لنفسي.

ـ هل هذا هو سبب وجودك هناك؟ لقلة احترامك لنفسك؟.

ضحكت، رغم أن صدرها ضاق أذى وألماً: «ألا تحب أن تعلم؟».

ـ نعم، أحب ذلك.

ـ ألم تستنتج بعد السبب الذي جعل أبي لا يستطيع أن يزوجني إلى يوناني حقيقي؟

رأت فكه يتوتر وعينيه تضيقان غضباً.

أسرعت تتابع: «أتظن أن لديك اليد العليا هنا؟ ولكن لديّ خبراً لك، أنت رضيت بأن تباع، يا كريستوس. لقد ابتاعوك لأنك من الذين يباعون. اليوناني الذي يحترم نفسه ما كان ليرضى بي، اليوناني الذي يحترم نفسه سرعان ما يحوّل نظراته عني عندما يراني. ولكن، أنت، أنت الجائع إلى السفن والمال والسلطة، قمت بصفقة مع أبي. وأنت الآن يقتلك الفضول لكي تعلم لماذا لم يستطع أبي أن يتخلص

مني».

ـ لديّ بعض الأسئلة.

ـ أنا واثقة من ذلك.

وارتجفت غضباً: «أنت، كريستوس باتيراس، مثل أبي. تحب أن تمثل دور إله».

لم يقل شيئاً، وتصلب ظهره وضاقت عيناه وأسبل أهدابه.

ـ لكنني تعبت منك ومن أبي إذ ترسمان لي حياتي، فتقرران من أكون وماذا سأفعل، وكيف أفكر. لقد أمضيت خمسة وعشرين عاماً والرجال يضعون القرارات لأجلي وأنا لن أرضى بهذا بعد الآن.

ـ أنت تجعلين مني غولاً.

ـ ألست أنت كذلك؟ أبي كان غولاً، لم يستطع أن يحب، أن يصفح. أخبرني بماذا تختلف أنت عنه؟.

لم يقل شيئاً، ولكن بدا عليه التوتر إلى حد خافت معه أن يمسك بها، أو أن يعاقبها لوقاحتها بضربة سريعة من يده كما اعتاد أبوها أن يفعل. لكنه لم يتحرك، ولم يرفع إصبعاً.

فجأة تبدد غضبها وشعرت بالتعاسة، لم تستطع أن تفهم لماذا اضطرت إلى الهجوم عليه بهذا العنف وماذا كانت ترجو من وراء ذلك.

لم يكن هذا طريقاً إلى اكتساب قلبه.. لكنها لن تستطيع اكتساب قلبه أبداً، ولن تحصل أيضاً على احترامه أبداً.

وهربت إلى غرفتها وهي تغالب دموعها، وإذ لم تستطع تهدئة نفسها، أخذت تنهي إفراغ أمتعتها من الحقائب، وهو ما كانت مدبرة المنزل قد بدأت به، وكانت ما تزال تملأ الأدراج، عندما فتح كريستوس عليها باب الغرفة.

شعرت به عند الباب.. شعرت به يتأملها.. لكنها لم تتكلم ولم

تلتفت إليه.

احترقت عيناها بالدموع تغالبها بشدة، مركزة على عملها.

لقد قالت له أشياء فظيعة، وأطلقت عليه أوصافاً بذيئة بينما هو لا يستحق ذلك... ليس كلها على الأقل. كانت غاضبة منه لأنها كانت تريد منه المزيد لكن الشجار معه لن يقرّبها إليه فهذا فقط يزيده بعداً عنها. وقال بهدوء: «لقد جهزت العشاء».

فشعرت بغصة في حلقها: «أنا لست جائعة، في الحقيقة».

ـ أنت بحاجة إلى أن تأكلي، تعالي.

ومد يده إليها: «دعينا لا نضيع وجبة السيدة أثيري سدى».

لم يكن لديها الطاقة لتقاومه ولا القوة لتقاتله. كانت جائعة ومتعبة فتبعته، ولو لتتجنب مزيداً من النزاع.

في غرفة الطعام، كانت الشموع تتوهج على المائدة، وكان مصباح كهربائي أصفر، ينشر ضوءه الباهت في أرجاء الغرفة. كانت الأطباق قد صفت على المنضدة وقد ملئت بما أعدّته السيدة أثيري من الدجاج المشوي والبطاطا بالزبدة.

أكلا بصمت، متجنبين الحديث وقد استغرقا في التأمل. أخيراً دفع كريستوس طبقه جانباً:

ـ منذ خمسة عشر عاماً صنعت خياري.

قال ذلك بهدوء، دون أن ينظر إليها، مثبتاً عينيه على المائدة:

ـ كان ذلك خياراً صعباً.

نظرت إليه، واستقرت عيناها على فمه، غير قادرة على النظر في عينيه. ذلك أنه أفسدها، جعلها تريد أشياء كانت تظن أنها تخلت عنها منذ زمن طويل.

وتابع هو يقول: «كان علي أن أختار بين الرياضة والمدرسة. فقد كنت حصلت على منحة «بيل» الرياضية».

- بيسبول؟

تمتمت بذلك فأوماً يجيب:

- لقد كنت أعشق هذه اللعبة. أعشق البقاء خارج الجدران على العشب، والصداقات الحميمة داخل فريق، لكنني لم أكن لاعباً جيداً... وربما كنت نجحت في نيل البطولة، لكنني لم أستطع المجازفة.

ورفع كأسه يرشف منه ثم يعود فيضعه: «لو بقيت في تلك الرياضة، لبقيت أكافح سنوات. ولما كان باستطاعتي أن أعتني بأبوي. وكنت أعلم أن أمي من دوني، كانت ستمضي حياتها في تنظيف مراحيض الناس فلم أستطع احتمال ذلك. كرامتي لم تحتمل ذلك، لقد عانت أسرتي من الشدائد بما فيه الكفاية، لذا أردت أن أقوم بالكثير لأجلها... لأجلنا جميعاً».

- وهكذا فضّلت ملاحقة العمل.

- بل ملاحقة أبيك.

صحح لها كلامها برقة، ساخراً من نفسه: «كل قرار قمت به، كل عقد وقّعته، وكل استثمار كان له غرض واحد... هو أن أصل إلى اليوم الذي أدمّر فيه أباك».

- هل كرهته إلى هذا الحد؟

- لقد كرهت ما فعله بأبي. وكما ترين، أنا لست شخصاً صفوحاً أبداً.

- إنك لا تبدو لي رجلاً قاسياً.

- لم أكن دوماً كذلك.

أترى كان هناك كريستوس مختلف عند ذاك؟ كريستوس صغير يطلب قليلاً، ويحب كثيراً؟.

- ربما كنت أحببتك حينذاك.

رفع رأسه وأخذ ينظر إليها مقطب الجبين، ورغم تحديقه إليها، كانت واثقة أنه ينظر في داخله، فهو لا يراها بل يرى نفسه. وشغل هذا بالها، وأجاب بصوت عميق مختنق: «ربما».

ونهضت عن مقعدها تريد أن تسير إليه لكنها أدركت، وهي ما زالت في منتصف الطريق حول المائدة، أنه قد لا يرغب فيها، وليس بحاجة إليها. شعرت بتمزق، فتشاغلت بجمع الأواني، واضعة طبق الخبز على طبق الطعام، دافعة أدوات المائدة إلى الوسط.

- هناك شيء آخر ما كنت لأذكره لولا علمي بأن أمي ستخبرك به.

جعلها صوته العميق تتجمد مكانها، فنظرت إليه من فوق كتفها تترقب ما سيقوله.

ابتسم، لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه وتابع قائلاً: «كنت خاطباً هذا العام، قبل أن أتزوجك».

وقفت مبهوتة تحاول أن تفهم ما قال: «كنت خاطباً من؟».

- فتاة محلية.

- واحدة من أسرة تماثل أسرتك؟.

فأوماً يقول: «لقد رتبت والدتانا أمر ذلك».

تبلجت لها حقيقة ما كان يقول.

- تعني أن أمك كانت الساعية بهذا الزواج.

فنظر في عينيها.

- نعم، وقد ابتهجت أسرتانا، وتحمستا للغاية.

- أتصور ذلك.

نعم، يمكنها أن تتصور. كريستوس باتيراس، رجل أعمال أميركي يوناني بالغ الثراء، يمثل قصة نجاح أمريكية تدير الرؤوس، يتزوج من فتاة أميركية يونانية محلية... كان ذلك الزواج لو حدث

غاية في المواءمة. همست كارهة ما شعرت به من ألم:

ـ هل كنت تحبها؟.

ولماذا تهتم هي بذلك؟

ـ لقد أحببت حلاوتها... أحببت رقتها ولطفها.

ـ هل كانت تريد أولاداً؟

ـ كانت تحلم بأسرة كبيرة.

تملكتها الغيرة، ورغم أنها لم تكن تعرف هذه المرأة، إلا أن شعورها بالحسد كان عنيفاً. لأنها المرأة التي كان كريستوس سيحبها ويكرمها...

لكنها لم تستطع أن تسكت عن القصة عند هذا الحد.

ـ هل حدث شيء بعد ذلك؟.

قال عابساً: «لا. لقد فسخت الخطبة منذ شهرين بعد أن أدركت أنها ليست المرأة التي تناسبني».

فتملكها الارتياح: «ما الذي غيّر رأيك؟».

ـ أبوك.

ولم تعرف أليسيا ما إذا كانت هي التي أسقطت الأواني أم أن الأواني سقطت بذاتها، وفي الحالين، انهارت على الأرض بجلبة شديدة وتدحرجت الصحون وتناثرت الملاعق والسكاكين. إلا أنها أدركت، بشكل مبهم، أن لا شيء انكسر... كانت محظوظة.

حاولت أن تجمع الأطباق لكن أصابعها لم تطعها. فكل ما كانت تراه هو أبوها، وفي يده قلم يخطّ به على الورق، وهو يعد كريستوس بالسفن والثراء ومزيد من السلطة.

أخذت تتنفس بعمق، والدموع الساخنة تملأ عينيها. وشرعت تجمع الأواني الفضية المتناثرة، دون أن ترى أو تفكر.

أبوها يكتب شيكاً، وكريستوس يأخذه، الصفقة... الزواج،

الأعمال. ليس لأجل الحب بل لأجل المال. لأجل الانتقام.

تحرك كرسي كريستوس إلى الخلف، وأمسك بذراعها فقفزت إلى الخلف وقد أشعلت لمسته جسدها.

ليتها كانت تلك الفتاة الفقيرة المهاجرة، التي اختارها هو لطيبتها، وصلاحها! ليته اختارها ثم أحبها دون مشاكل أو عقد.

ـ لا تفعلي هذا...

قال هذا بخشونة وقد عاد يمسك بذراعها، فتحت عينيها ونظرت إليه، غير منتبهة إلى الدموع التي تملأ عينيها. كانت المشاعر تظلم ملامحه الرائعة، وهمست: «لا أفعل ماذا؟».

ـ لا تقولي ذلك. لا ترغبي في ذلك، ما لدينا هو ما أريده أنا.

ـ أحقاً؟

ـ نعم.

ـ ولكن لا شيء لدينا.

ـ هذا غير صحيح، إنه ليس أفضل، ولكنه ليس أسوأ من أي زواج مرتب آخر.

ـ لا أستطيع العيش بهذا الشكل.

ـ آسف، ليس لديك خيار.

ـ ليس لدي؟.

ـ لا، لم يعد لديك خيار، ما دمت زوجتي.

* * *

٩ ـ ضربة في الصميم

قبل أن تخطو خطوة، أدركت أنه سيلمسها وسيأخذها بين ذراعيه ليغرق ذهنها في الفوضى مرة أخرى. كانت تريده أن يلمسها بقدر ما كانت تخاف من ذلك... تخاف أن تفقد سيطرتها على نفسها.

حاولت أن تهرب، لكنه كان أسرع منها إذ أمسكها بين ذراعيه يشدّها إلى صدره وهو يقول:

ـ طوال حياتك كنت أليسيا المسكينة المهملة، لم يكن هناك من يحبك، ولا من يريدك.

زاد في احتضانه لها: «لكنني أريدك... أريدك أكثر مما أردت امرأة قط في حياتي».

ـ أنت تريدني لتعاقب أبي...

ـ أبوك لا يهمني أبداً. أنا أريدك أنت.

وعانقها فانبعث الشوق في جسدها.

أرسل عناقه مشاعر لامتناهية في كيانها، وكان يحوّلها إلى شيء حار خطر. تكهرب جسدها وازدادت حساسية أعصابها.

وضعت يدها على صدره بوهن، وقد أدار رأسها ما بعث فيها من

حرارة، وشوّشتها مشاعرها، التي تدفعها لتكون جزءاً منه.

وقال ساخراً وقد عمُق صوته:

ـ حذار، فقد أظن أنك ترغبين فيّ حقاً.

أدركت عند ذاك، أنها ستحبه على الدوام، قلباً وروحاً. بما تبقى من روحها الذي لم يدمّره فقدانها أليكسي.

السخرية في صوته وقربه منها زاد في شوقها إليه.

وعندما انحنى عليها، رفعت يديها تتمسك به وهي تتأوه برقة ثم أخذ تعانقها حتى شعرت بأنها تكاد تذوب فأخذت تشجعه وقد دفعتها مشاعرها إلى كبت أي خجل تشعر به.

كان صوتها يتوسل حبه وكان في ذلك كل ما يحتاجه من تشجيع فحملها بين ذراعيه وصعد بها إلى غرفته.. إلى غرفتهما.

وهناك قالت له: «لا أريد شيئاً.. لا أريد إلا أنت».

فضمها إليه بشوق وكأن كلامها سحر سرى في كيانه فأحرقه وأحرقها معه.

أدركت عند ذلك أنها ستحبه على الدوام قلباً وروحاً.

بقيا متشابكين معاً وخفقات قلبها تتسارع بجنون.

ـ أنت لي! تذكري هذا.

ثم عاد يعانقها بحب وشوق فشعرت أليسيا بنفسها تدور هابطة، هابطة ولكنها لم ترتطم بالأرض قط بل كانت تطفو على جناح السعادة.

أخذ يتمتم بصوت أجش: «أنت تستحقين كل سفن العالم».

ولكن قبل أن تسأله عما يعني بكلامه كان يتنفس بعمق وقد استسلم للنوم.

في أواخر الليل استيقظ ثانية. طبع كويستوس قبلة على رأسها ونزل من السرير.

- إلى أين أنت ذاهب؟

سألته بصوت ناعس، وهي تجلس.

- إلى العمل.

- الآن؟ الوقت مبكر جداً.

- إنها الخامسة، لدي عمل كثير، والأفضل أن أبدأ.

استقامت في جلستها، تزيح شعرها عن عينيها:

- هل يمكنني المجيء؟

- لا، عودي إلى النوم، أنت بحاجة إلى الراحة.

أزاحت أغطية الفراش، وضغطت بيديها على ركبتيها:

- يمكنني أن أساعدك.. يمكنك أن تكلفني بالعمل.

- أنت لا تعرفين شيئاً عن عملنا.

- علمّني إذن.

كانت متحمسة للفكرة، عالمة بأن بإمكانها أن تحاول الظفر به. كان كريستوس مثل أبيها، يقارن العمل بالنجاح، ويحترم الناجحين. فإذا وجدت طريقة تكون فيها نافعة، وتساهم في عمله، فقد يراها أكثر من مجرد ابنة داريوس ليموس المدللة.

قد يدرك أن لديها ذكاءً عملياً، وقد يحترمها، وقد يقع في غرامها حتى.

- أرجوك يا كريستوس، امنحني فرصة.

- هذا ليس يوماً حسناً لأخبرك بما عليك أن تفعلي، فلديّ اليوم اجتماع هام لرؤساء اتحاد العمال الذين ينتظرونني لكي يقطعوا رأسي. إنه يوم عقد صفقات صعبة، وستراق بعض الدماء، وأرجو أن لا تكون دمائي، وهكذا ستكونين عقبة في الطريق... فستلهينني عن العمل.

سرعان ما تبدد مزاجه الحسن عندما قفزت من السرير إلى حيث

تناولت ثيابها وهي تقول:

- أنا لن ألهيك عن العمل ولن أكون عقبة في طريقك، يا كريستوس، أرجوك.

- أليسيا، كوني جادة.

اهتزت يداها وهي تبدأ بارتداء ملابسها.

- أنا جادة تماماً.

- أليسيا، أنت امرأة.

التهبت عيناها، ونظرت إليه غاضبة وهي تتابع: «لا يمكنني أن أصدق أنك قلت هذا الكلام الآن».

- كنت أرى أمي راكعة كالعبيد على ركبتيها في حمامات الناس الآخرين. فأقسمت عندما أتزوج، ألا أدع زوجتي تشتغل أبداً... وألا تتعرض للإذلال بهذا الشكل.

- أريد أن أعمل في مكتب، لا أن أنظف الحمامات.

- لا، أنا وحدي الذي سأشتغل لأجلنا جميعاً، لأن بإمكاني أن أشتغل لأجلنا جميعاً. هل فهمت؟.

قذفته بتنورتها الكحلية وهي تسبه بصوت مختنق، فتلقى التنورة بسهولة.

- اذهب إذن.

قالت هذا بحدة وهي تلقي برأسها إلى الخلف، وشعرها الحريري الطويل يتمايل على كتفيها.

- افعل ما عليك أن تفعله، ولكن لا تتوقع أن تعود إلى البيت فتجدني بانتظارك.

توقف عن الحركة على بعد خطوتين من السرير، فلعله لم يسمع جيداً. إنها تهدده مرة أخرى، هذا شيء لا يصدّق.

أمسك بذراعها وجرها إليه، فأخذت ترفسه بساقيها وتضربه على

صدره.

ـ ماذا قلت؟.

ـ أنت سمعتني.

تملكه الغضب، غضب وفروغ صبر.. لوى رأسها إلى الخلف آسراً وجهها تحت وجهه. كانت قبلته مفاجئة بقدر ما كانت مهينة. قبلها بخشونة، بوحشية. أراد أن تشعر بحنقه منها. أراد أن يذكرها بأنه في هذا البيت، هو الرجل، وأنها هي المرأة.

ولكن حتى وهو يفعل ذلك، كان عناقه رقيقاً، وترك ذقنها، ليلامس وجنتها بكفه. شعر وهي بين ذراعيه ببهجة لا تصدق. كان طعمها كالعسل واللوز المسحوق. كانت حلوة للغاية، وكانت ملكا له.

إنها ملكه منذ مقاطعتها اجتماع أبيها منذ عشر سنوات. لقد أدرك حينذاك أنه يريدها، يريدها أن تكون ملكه هو. وهو سيحميها، ويعززها، ولن يسمح لأبيها بأن يضربها مرة أخرى.

ارتجف فم أليسيا، واهتز جسدها تحت صدره. وما لبثت قبلته أن رقّت فأخذ الهدوء يتسرب إلى روحها شيئاً فشيئاً. كانت تذوب بين ذراعيه.. ثم تركها بكل رقة تتنفس ببطء وقلبه يخفق بعنف. إنه يريدها ولكنه سيجعلها تستسلم كلياً وتعترف بأنها لا تريد سواه ولا حياة مع غيره.

ضغط إصبعه على فمها المرتعش، وهو يقول: «إياك، يا زوجتي الثائرة، أن تهدديني مرة أخرى بأن تتركيني».

سمعت الخشونة في صوته فأدركت أنها تجاوزت معه الحد.. ارتجفت وهي تزيد من شد بلوزتها حول جسمها.

وإذ تملكها الإشمئزاز من نفسها، قالت بحدة:

ـ لقد أعطيتك ما تريد. طلبت مني أن أؤدي واجباتي الزوجية.

حسناً، لقد فعلت ذلك، وخدمتك، والآن أعطني ما أريد.

حدق كريستوس إليها ذاهلاً، وقد كشفت ملامحه عن شعوره بالأذى والانخداع. ثم أغمض عينيه تقريباً وقد بدا الشرود على ملامحه، لكنها رأت في عينيه ما يكفي لكي تعرف أن سهمها أصاب الهدف، وأنها جرحته.

لكنها شعرت بالندم، بدلاً من البهجة، وبالخزي بدلاً من السرور. وقبل أن تتمكن من الاعتذار، كان قد سار مبتعداً عنها.

تبعته مضطربة لما حدث بينهما.

ـ كريستوس...

التفت إليها شزراً وقال:

ـ ثمة مثل يقول (إن الضربة وقعت تحت الحزام) هل تفهمين ما أقول؟.

ابتلعت ريقها بصعوبة، متسائلة كيف يمكن أن تتحول المشاعر الحلوة المتأججة، إلى شيء بشع:

ـ نعم، ولكن...

ـ الضرب تحت الحزام غير مقبول. خصوصاً في هذا الزواج، على الإطلاق.

ـ آسفة، لكنك...

ـ أنت طفلة متمردة، عنيدة لا تريد الانحناء.

ـ هل هكذا تتقبل الاعتذار؟.

ـ وهل هكذا تعتذرين؟

لم تستطع أن تحتمل ذلك. لم تستطع أن تحتمل الطريقة التي تجعلها تشعر بأنها عديمة الكفاءة. وهمست والدموع في عينيها: «أنا أكرهك، أكرهك وأكره كل مبادئك».

ـ صدقيني في هذه اللحظة مشاعرنا متبادلة.

وأسدل أهدابه يخفي مشاعره. «ويجب أن لا تكون بهذا الشكل، يا أليسيا».

ألقت برأسها إلى الخلف: «هل هذا اعتذار؟».

ـ لا، بل تقرير واقع.

ـ لماذا لم تتزوج فتاتك الأميركية الطيبة وتتركني في الدير؟.

نظر إليها، بعينين ضيقتين:

ـ لم أستطع.

ـ أنت وأبي متماثلان تماماً، فأنت تحب المال أكثر من أي شيء آخر.

ـ حاولت أن أحبك، لكنك لا تدعين أي شخص يقترب منك، ولا تسمحين لأحد بأن يكون لطيفاً...

ـ هل هذا ما كنت تريني إياه في السرير؟ اللطف؟.

وضحكت بتوتر وصوت مرتفع: «حسناً، من الآن فصاعداً يمكنني أن أعيش دون تمثيلك اللطيف». وقبضت يديها: «قلها بصراحة، زواجنا ليس سوى صفقة تجارية، دولارات، أرقام، حساب بالبنك، ومعاملات تجارية».

احمر وجهه، وتمزقت أنفاسه، وقال:

ـ هذا حسن، إنها صفقة حقاً. لكنها صفقة مستمرة فسآخذك كلما شئت أنا، وبالشكل الذي أريده، وإلى جهنم باللطف الذي تزدرينه.

ثم جرها إليه، ممسكاً بها بقسوة:

ـ من الآن فصاعداً أريد منك أن تكوني دوماً جاهزة لأجلي، مثل البنك الذي أعامله.

همست مجروحة الكرامة: «أنت حمار».

تركته وهي ترتجف. قال بجمود: «لديك نصف ساعة».

ـ نصف ساعة؟.

نظر إليها غاضباً، ثم قال بازدراء:

ـ إلى أن نذهب، لن أتركك هنا وأمنحك فرصة أخرى للهرب. وهكذا انتصرت أنت، يا أليسيا، أنت ستعملين معي رغم أنني لا أحب ذلك مثقال ذرة.

* * *

www.elromancia.com

١٠ ـ الحب لا يدوم

أثناء رحلتهما بالهيلوكوبتر داخل المدينة، تجنب كريستوس النظر إلى أليسيا التي بقيت رافعة الرأس بحزم، رافضة أن تدعه يرى أن انتصارها الذي جاهدت لأجله كان مذاقه شديد المرارة.

لقد أرادت أن تكون جزءاً من عالمه، ولكن ليس بهذا الثمن، ليس بهذا الثمن على الإطلاق.

في اللحظة التي وصلا فيها إلى المكتب، دخلا من باب زجاجي إلى مكتب عصري مؤثث باللونين الكحلي والتبني، حيث التحقا بالاجتماع الذي كان دائراً، وبقيا في قاعة الاجتماع طوال النهار.

طوال الحديث الذي دار ثلاث ساعات مع رئيس اتحاد عمال السفن لم ينظر كريستوس في اتجاهها قط. وكان الحديث من الحرارة أحياناً بحيث خافت أن يدخل رئيس الاتحاد في عراك، وجعلها ذلك في غاية الضيق. لكن كريستوس بقي دوماً هادئاً تماماً، يخاطب الآخرين دون حقد، ومع ذلك لم يذعن ولا قبل بحل وسط.

توقف الاجتماع عشر دقائق للاستراحة، فوقف كريستوس وسار إلى التليفون القائم عند زاوية المائدة على منضدة على بعد سنتمترات من كرسيها، وقام بسلسلة من المكالمات المختصرة دون أن ينظر إليها لحظة واحدة.

أنهى مكالماته ثم رجع إلى كرسيه دون أن يلقي أيضاً نظرة باتجاهها... كان الأمر وكأنه يريد أن يقول لها، دون كلمات، أن بإمكانها أن تدفعه للقيام بما تريد، لكنها لن تستطيع أبداً أن تغيّر ما يشعر به نحوها، فهو يحتقرها، ومن الواضح أنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليه.

ويا له من انتصار مرّ!

وبقيا صامتين أثناء رحلة العودة إلى البيت، التي استمرت ثلث ساعة فقط من برج «مانهاتن» إلى محطة الهبوط في مزرعته، حيث كانت السيارة في انتظارهما لتقلهما إلى البيت. فتحت السيدة أيفري الباب، مرحبة بهما ببشاشة. مقدمة صينية عليها ما طاب ولذّ.

أخذ كريستوس كوب عصير وكوباً آخر لأليسيا شاكراً المرأة بحرارة لم تفت أليسيا.

ـ أمك السيدة باتيراس اتصلت أثناء العصر لتخبرك أن والدك مضطر للتأخر في عمله هذه الليلة وأنهما لن يستطيعا الحضور قبل الثامنة بكثير.

ـ شكراً يا سيدة أيفري. أعلم أنك تعبت هذا اليوم، ولا أريد منك أن تشعري بأن هناك حاجة لبقائك.

ـ لكن بإمكاني ذلك، وبهذا ترتاحان قليلاً، أنت والسيدة باتيراس، قبل قدوم والديك.

نظر كريستوس إلى أليسيا متأملاً، ثم قال للمرأة:

ـ سنرتاح، لا تقلقي لأجلنا.

حالما ذهبت مديرة المنزل أمركريستوس أليسيا بالصعود إلى غرفة النوم فرفعت حاجبها بذهول: «عفواً».

ـ أيمكنك السير أم أحملك مرة أخرى.

ـ أتريد مني الصعود الآن إلى غرفة النوم ووالداك سيصلان بعد

قليل؟

ابتسم ببرودة دون أن تظهر أي حرارة في عينيه: «لدينا ساعة كاملة».

ـ أنت تمزح بلا شك.

ـ يا حبيبتي أنا لا أمزح أبداً.

ـ آسفة، لكن ليس لي مزاج الآن.

ـ حسني مزاجك إذن، لأن بيننا اتفاقية عمل أليس كذلك يا حبيبتي؟ أردت أن تكوني جزءاً من عالمي وأنا سأكون جزءاً من عالمك وأنا أريدك الآن.

ـ لا تفعل هذا.

ـ لِمَ لا؟ أنت تعامليني بكثير من الاحتقار.

ومدّ يده يلامس خدّها بإصبعه.

ـ آه! ها هنا الغضب والكراهية وهما موجهان لي وحدي.

استدار صاعداً السلم: «والآن تعالي. العمل هو العمل».

أرادت أن تكرهه.. أن تصيح به، لكن صوتها لم يطِعها وتشوّق قلبها إلى شيء منه غير هذا.

وهناك في غرفة نومهما أخذ يعانقها بقسوة وعنف ولكن عناقه لم يلبث أن تحوّل إلى رقة خالصة.

كادت تنام بين ذراعيه ولكن كريستوس تحرّك وأزاح الغطاء يذكرها بأن والديه سيكونان هنا بعد نصف ساعة. ثم ترك الغرفة فاستحمت لكنها بدلاً من أن تلبس ثيابها عادت إلى سريرها تتكوّم فيه بمنشفتها. إنها تريد من كريستوس أكثر من مجرد متعة.. إنها تريد قلبه.

لكن زواجهما كان أوراقاً وأموالاً... سفناً وإرثاً، ولم يكن حباً ولن يكون حباً أبداً. كان مجرد صفقة تجارية... تجارة وانتقاماً.

احترقت عيناها بدموع ساخنة وتملكتها غصة. غرزت أظافرها في راحتيها وهي تشعر بنفسها مرة أخرى تلك الفتاة الغنية الصغيرة المسكينة، الوارثة اليونانية الصغيرة التي لم تستطع ثروتها أن تحمي ابنها الطفل.

رباه! شد ما كرهت إرثها، وعالم الدلال الفارغ.

انفتح باب غرفتها ووقف كريستوس عند الباب يزرر كمي قميصه الأبيض المنشى:

ـ أليسيا، ليس لديك وقت تضيعينه سدى. والداي سيكونان هنا قريباً جداً، وصدقي أنك لن تجعلي أمي تحبك إذا وجدتك نائمة هكذا.

لم تستطع أن تتحرك، لم تستطع أن تسلخ نظراتها عنه. كان يبدو بالغ الهدوء والرزانة الكاملة، بينما كانت هي أشبه بكرة من الشمع الساخن، لينة متقلبة عاجزة بين يديه.

ما زالت تشعر به في كل مكان، بجانبها، حولها.. وتشعر بقلبها يستجيب له ويتألم في الوقت ذاته.

ألقت عليه نظرة متمردة تغطي بها ذلك الألم، فقال حاثاً إياها على تغيير هندامها:

ـ أبي يعشق اللاڤندر وأمي تكره البنطلونات. أسدلي شعرك على كتفيك ولكن لا تكثري من الزينة على وجهك. أتوقع أن أراك في الطابق الأسفل بعد ربع ساعة على الأكثر، هل أنا واضح؟.

ـ كريستوس...

ـ هل أنا واضح؟

فاستجمعت شجاعتها وهي تبتلع ريقها:

ـ نعم... ولكن.. لا بد أن أباك يكرهني جداً.

وقف عند الباب لكنه لم يلتفت إليها:

- ليس لدى أبي أي حقد عليك. إنه رجل عطوف، وهو متسامح أكثر مني بكثير.

والتفت ينظر إليها بملامح جامدة، فتركزت عيناه عليها ملاحظاً التوتر المفاجيء في فمها: «أبي سيكون لطيفاً معك، فلا تقلقي بشأنه».

- وأمك؟.

- إنها تتبع أبي في تصرفاته.

كما ينبغي أن تكون المرأة الصالحة!

لم يقل هذه الكلمات الأخيرة. لكنها فهمتها دون أن تسمعها منه، فابتسمت بألم:

- سأحاول ألا أحرجك الليلة.

- فقط لا تهربي.

وفي الطابق الأسفل وجدت كريستوس واقفاً، وأنوار سيارة قادمة في الخارج، تومض عبر نافذة غرفة الطعام، فقال: «لقد حضرا».

تصلب جسدها، خائفة من مواجهة أناس سبب أبوها لهم ضرراً بالغاً.

- أخبرني ماذا أقول لأمك، أخبرني كيف أتصرف.

قال بهدوء: «كوني طبيعية فقط».

وعندما تقابلت أعينهما أضاف بلطف: «أمي ستكون سعيدة عندما أكون سعيداً».

لكنني لن أجعلك سعيداً أبداً... أجابته بذلك صامتة وقلبها يتألم وقد امتلأت بمشاعر جديدة جاهدت في كتمانها.

- كريستوس، ليس الأمر مجرد عمل، أليس كذلك؟.

- أتعنين ما بيننا؟.

امتد الصمت بشكل مذلّ، وارتفع صوت إغلاق باب سيارة في

الخارج، وسُمع صوت وقع أقدام على الدرجات الخارجية، واحمر وجهها وهي تجيب:

- نعم، فيما بيننا.

عاد الصمت مطبقاً، وذعرت لتصاعد رنين جرس الباب. ومعرفتها بأن والديه ينتظران خارج الباب، لكنه لم يهتم حتى بالنظر إلى الباب وهو يجيب:

- لا، إنه ليس مجرد عمل.

شعرت بمزيج من الأحاسيس يملأ نفسها... أمل، ألم، وحنان أيضاً.

سار إلى الباب لكنه لم يفتحه، كانت عيناه ما تزالان مسلطتين عليها وكأنه يقرأ مشاعرها:

- أنا لم أترك ماريا لأن أباك قدم إليّ مالاً، ولم أتزوجك لكي أنتقم من أسرتك، بل تزوجتك لأنني أريدك.

ثم فتح الباب مرحباً بوالديه.

كان العشاء مع والديه أقل نكداً مما توقعته، فبحضور الأب كانت والدة كريستوس مغلوبة على أمرها، تتابع بصمت الحديث الدائر بين زوجها وابنه كريستوس عن الأعمال وأمور الكنيسة.

قام الأب بجهود لإشراك أليسيا معهما، فكان يستمع مفكراً إلى وجهة نظرها، ويعاملها بما بدا لها حرارة واحتراماً حقيقيين.

بعد العشاء تناولا شراباً حلو المذاق، وهو شراب قال كريستوس إن أسرة يونانية تصنعه محلياً. ثم غادر الوالدان وودعهما كريستوس وأليسيا إلى الباب.

وقفا معاً في المدخل لا يتحركان، وبعد لحظة طويلة مال كريستوس عليها يزيح خصلة ذهبية من شعرها خلف أذنها وهو يقول:

- لم يكن الأمر سيئاً، أليس كذلك؟.

- لا، أبوك فاتن.

- لا أدري إذا كانت كلمة (فاتن) هي الكلمة الملائمة، ولكن الواضح أنه أحبك. وأنا مسرور لذلك، لأن هذا ما تمنيته.

- ولكن أمك...

- من الصعب إرضاء أمي، لكنني أعدك بأن قلبها سيتغير بوجود الأحفاد.

اضطرم قلبها ألماً، وهي تحس بنيتها في الغدر. يجب أن تتحدث إلى كريستوس، أن تتحدث إليه حقاً... ولكن كيف؟ ماذا ستقول له؟ وكيف تخبره بالحقيقة؟ إنه عصري في بعض النواحي، منفتح العقل، قوي. لكنه من نواح أخرى، بالنسبة لموضوع المرأة والأسرة، حريص على توفير الحمّاية إلى حد لا يطاق، وإلى حد التعصب تقريباً. فإذا هي اعترفت له، ستخسره حتماً.

رفع كريستوس وجهها بيديه والرزانة على وجهه، ثم انحنى يقبلها بحنان يذيب الفؤاد، وبحرارة وجوع واضحين.

تعلقت به، راغبة فيه، وعندما أخذت تعانقه، سالت الدموع من تحت أهدابها المسدلة... سالت على خديها، وتراجع كريستوس مقطباً:

- ماذا حدث؟

لكنها لم تستطيع أن تخبره، لأن الكلمات لن تفعل سوى تدمير هذا الرباط الهش بينهما. وبدلاً من ذلك، عادت تشدّ رأسه إليها لتضمه إليها.

شعرت بشفتيه مالحتين من دموعها، فحرّك ذلك مشاعر كامنة، مشاعر متجذرة من الحب والشوق، كانت تريده. تريد أن تكون ملكه، ليس الآن فقط بل دوماً.

تلك الليلة ترك وصالهما تأثيره عليها فقد تغيرت حياتها وأدركت أنها لن ترغب في رجل غيره أبداً أو تحبّ رجلاً آخر كما تحب كريستوس.

- ربما لا تعرفين، يا أليسيا، أنك ترغبين بي كما أرغب فيك.

كانت مستلقية على ذراعها المثنية تحدق إليه في الظلام. كان بإمكانها أن ترى عينيه وبياض أسنانه فمالت عليه تضمه، قائلة:

- أنا أعرف هذا، أنا على الأقل، أرغب فيك.

شعرت به يجفل وقد توقفت أنفاسه، وأخيراً تنفس، ورفع يده إلى وجهها يلامس خديها اللذين ما زالا يتوهجان من فيض المشاعر.

- أريد أن ننجب طفلاً معاً، أريد أن أكوّن معك أسرة.

انقبض قلبها خوفاً فضغطت بأناملها على فمه تمنعه من متابعة الكلام.

- لكنك تعلمين ذلك، تعلمين أن هذا ما أريده أكثر من أي شيء آخر.

قالت بصوت مبحوح: «أنا لا أصلح أن أكون أماً».

- هذا غير صحيح، أنت خائفة فقط من عدم قدرتك على الإنجاب. لكنني واثق من أن الأطباء المناسبين، والعلاجات الجديدة...

- كريستوس... أنت لا تعلم!.

- ما الذي لا أعلمه؟.

الحقيقة... إنه لا يعلم شيئاً، لكنها لم تتكلم، وعاد يقول:

- أليسيا، أنت زوجتي، وأنا أريد أن نبني أسرتنا معاً.

شعرت بعينيها جافتين، تحترقان... وضعت جبهتها على جبهته تخفي وجهها عنه، تخفي ماضيها. إذا هو عرف الحقيقة، سيكرهها ويحتقرها.

ـ تكلمي معي.

همس بذلك وهو يبتعد عنها ويقلبها على ظهرها، رفع خصلة شعر عن عنقها وضغطها على فمه: «ثقي بي».

ـ أنا أثق بك.

وكان ذلك صحيحاً تماماً. ولكن ماذا بالنسبة إلى حبوب منع الحمل؟ همس بذلك صوت خفي في أعماقها مثيراً ألماً جديداً، يجب أن يعلم أنك تتعاطين حبوب منع الحمل.

لكن صوتاً آخر في داخلها همس محتجاً: لا حاجة به لأن يعلم الآن، فستخبرينه يوماً ما. يوماً ما عندما يصبح قادراً على الفهم.

ـ سأفعل أي شيء لأجلك.

ـ لا يمكنك أن تقول شيئاً كهذا.

ـ بل يمكنني ذلك، لأنني أحبك.

جمدت دون حراك لا تجرؤ على التنفس، لا يمكن أن يكون قد قال هذا الكلام الذي سمعت، ولا شك أنها مخيلتها، ورغبتها في أن يتقبلها ويصفح عنها. لأنه لا يستطيع أن يحبها، وخصوصاً أليسيا الحقيقية، أليسيا الحقيقية التي دمرت أولئك الذين أحبتهم.

ـ انظري إلي.

قال يحثها بصوت أجش وهو يدير وجهها نحوه بأصابعه القوية دون أن يفهم سبب الدموع في عينيها، أو الألم الذي يتسلل إلى قلبها.

ـ سننجب أطفالاً وسنكون سعيدين، أتعهد لك بذلك.

مرت الأسابيع بسرعة، كان كريستوس أثناءها حريصاً على إرضائها، برغبةٍ حقيقية واضحة.. كانا ينامان معاً ويستيقظان معاً ويتناولان الطعام معاً، ولا يشبعان من بعضهما البعض، وكان الواحد منهما يطلب الآخر دوماً.

بعد ذلك الأسبوع الأول العاصف، تمكنا من أن يصبحا صديقين ويكوّنا علاقة حقيقية خالصة.

أخذ كريستوس يدعو أليسيا أحياناً، للحضور معه إلى المكتب مرة أو مرتين أسبوعياً، فتحضر معه الاجتماعات الهامة، وفي أحيان أخرى يحضر معه إلى البيت تقارير وبيانات ليتناقش بشأنها معها.

وجدت رؤيته للعمل صحيحة رائعة، ومع ذلك كان يسأم من التفاصيل التي لا تنتهي، وبينما كانت تحب أن تفهم لماذا صمم على شيء معيّن، لم تكن تريد أن تنكبّ على الأرقام أو تتحدى تنبؤاته الاقتصادية. الواقع أن عمله كان يشعرها بالسأم. والأسوأ من ذلك أن جداول الأرقام التي لا نهاية لها، كانت تبدو، بعد فترة، دون معنى، وهي تمرّ أمامها رقماً بعد آخر، أشبه بالنملات الصغيرات.

ـ أنا أكره هذا.

تمتمت بذلك وهي تغلق ملف العرض بعنف وتلقي به على آخر الأريكة.

ـ لا أستطيع أن أطيقه، لا شيء ممتع في هذا العمل.

استدار كريستوس عن النافذة التي كان واقفاً أمامها يستمتع بمشهد غروب الشمس، وقد لوى شفتيه:

ـ طالما تساءلت متى تعترفين بالحقيقة.

وأمسك بالملف يتفحصه: «لماذا لا تعودين إلى الرسم؟».

كان صوته ليناً بشكل مخادع، فقطبت جبينها: «أنت تعلم أنني لم أعد أرسم».

ـ يمكننا أن نبني لك هنا مرسماً...

فقفزت عن الأريكة لتواجهه:

ـ لا أريد مرسماً، لا أريد أن أرسم ولن أرسم أبداً مرة أخرى.

ـ ظننتك تثقين بي.

ـ وهو كذلك.

قال بخشونة: «إذن، ربما بإمكانك أن تفسري هذا».

ثمة شيء قد تغير في صوته، فقد توتر صوته الهادىء:

ـ لقد وجدت هذه في درج حمامك.

وسحب من جيبه كيساً صغيراً من البلاستيك رفعه عالياً.

ـ هذه الحبوب ليست حبوب الحديد، أليس كذلك؟

تناوبتها الحرارة والبرودة. كانت هذه حبوب منع الحمل. كما أنه يعرف شكل زجاجة حبوب الحديد التي لديها.

ـ من أين أحضرتها ومتى؟

ابتلعت ريقها بصعوبة: «في أثينا، من الطبيب الذي زارني في بيتك بعد إغمائي».

ـ هل كنت تتعاطين حبوب منع الحمل الشهر الماضي؟

كان صوته صلباً كملامحه.

ـ نعم.

ورفعت رأسها وعندما واجهت نظراته أخذت ترتجف. فقد بدا الغضب في عينيه.

ـ أنت كذبت عليّ.

ـ أنا لم أكذب.

ـ لم تكوني صادقة.

لا... لم تكن صادقة، وكان كل شيء سينكشف. لقد رأت ذلك الآن. الكوابيس، الرعب... العار الذي كانت تخفيه قد ظهر الآن فكان في ذلك دمار تحكمها الهش في أعصابها.

استدارت، وفتحت الباب المؤدي إلى مكتبه، ثم أخذت تسير مبتعدة متجهة إلى السلالم بسرعة، ومن ثم إلى ملجأ غرفتها.

تبعها كريستوس إلى السلالم فركضت صاعدة الدرجات، راكضة

قدر إمكانها.

قطع السلالم بنصف الوقت، كل ثلاث درجات معاً، ثم أمسكها بكتفيها وأدارها لتواجهه.

ـ ما الذي يحصل بحق جهنم؟.

ـ أنت لا تعرف ولن يعجبك أن تعرف.

ـ تباً لذلك يا أليسيا! كفى أسراراً وأجوبة مبهمة.. لا أريد ألغازاً أخرى. أريد أن تجيبيني، وبصدق. لماذا لم تخبريني بأنك تتعاطين الحبوب؟.

ـ لأنك كنت ستأخذها مني، أو تحاول أن تقنعني بتركها...

ـ نعم.

ـ هذا هو السبب.

ـ لكنك كنت تعلمين أنني أريد أولاداً.

ـ وأنت كنت تعلم أن هذا لم يكن بإمكاني.

ونزعت نفسها من يده متراجعة إلى الخلف دون رويةٍ فتعثرت بالدرجة العليا وفقدت توازنها. أمسك بها كريستوس يجرها خلفه بخشونة إلى غرفتها الآمنة. وهو يقول، مغلقاً الباب خلفه:

ـ لا مزيد من الحبوب ولا موانع حمل. هل تفهمين؟.

ـ أنا أفهم ما تقول، لكنني لا أستطيع أن أفعل ما تطلبه مني.

ـ أتعنين أنك لا تريدين؟

رأت الألم في عينيه قبل أن يتلوه الغضب.

ـ أرجوك، يا كريستوس، ثق بي...

ـ كما وثقت أنت بي؟

وأشاح عنها مغطياً وجهه بيديه.

ـ يا إلهي! أنا أحمق حقاً.

وهز رأسه وهو يرخي يديه.

www.elromancia.com

ـ حذرني أبوك من أنك ستهربين، حذرني من أنك لا تستقرين على حال، لكنني لم أصدقه، ويا ليتني فعلت!.

ـ لكان هذا وفّر علينا، نحن الاثنين، كثيراً من الإزعاج.

أجابته بذلك بهدوء، مستعيدة كبرياءها.

كانت تعلم منذ البداية أن زواجهما لن يدوم.. كانت تعلم أنه سيكتشف الحقيقة عاجلاً أم آجلاً فتنتهي العلاقة، بنفس السرعة والألم اللتين ابتدأت بهما. فقط لم تتوقع أن تفقد قلبها معه. لم تقصد قط أن تجن غراماً به.

حدّق إليها وكأنه لم يرها من قبل قط، وعيناه السوداوان تعريانها حتى العظم.

ـ لم تكوني تنوين قط أن تحملي بطفل مني، أليس كذلك؟.

ـ لا.

ـ إلى متى كنت تريدين مني أن أنتظر؟.

إلى الأبد... سمعت هذا الجواب يُهمس في داخلها... إلى الأبد، إذا كان هذا يعني أن أبقى معك، لكنها هزت رأسها.

ـ لا أدري، إلى أن تلحّ أنت في معرفة الحقيقة.

ـ وهكذا كنت ستستمرين في أخذ الحبوب، وتجعلينني أظن أننا لا ننجب؟.

ـ نعم.

ـ يا إلهي! إنني أكرهك.

قالت وهي تشعر بالذبول والموت: «أعلم هذا».

ـ لا يمكنك ذلك، ليس لديك فكرة عن مبلغ اشمئزازي منك.

همست: «لدي فكرة ضعيفة».

كانت تعلم بأنه لا يستطيع أن يحطم ما سبق أن تحطم. وقد تحطم قلبها منذ سنوات. لكنه ما زال يحفر حفرة جديدة في

التراب.. يحفر قبرها.

اقترب منها، ورفع يده وكأنه سيضربها، لكنه بدلاً من ذلك أمسك وجهها بين يديه وقبلها بعنف.

ـ أخبريني فقط بالسبب، دعيني أفهم.

شعرت به دافئاً، ورائحته كولونيا ومسكاً، فمدت يدها إلى صدره، شاعرة بالحاجة إليه كما لم تشعر من قبل قط بحاجة إلى أحد.

لكنه لم يشأ أن تلمسه، فأمسك بمعصميها، نازعاً يدها عن صدره: «أنا بانتظار جوابك».

ـ الأفضل ألا تعلم. أواه، يا كريستوس... ذلك سيء جداً...

ـ لا يهمني، أريد الحقيقة.

نظرت إليه بعجز، مدركة أنها ستفقده.. لا... فقد فقدته فعلاً. لكن الخوف أمسكها عن ذلك، لقد أخفت سرّها هذا طويلاً، دون أن تخبر به أحداً.. لم تخبر، حتى والدها، عما حدث في باريس في ذلك اليوم الرهيب.

ـ أخبريني.

دار رأسها وجفّ فمها. من أين تبدأ؟ ماذا تقول أولاً؟.

ـ كان لديّ... كان لدي طفل.

ـ كان لديك ماذا؟

ازداد التوتر في جسمها، ولم تستطع أن تنظر إليه. لم تجرؤ على أن تلقي نظرة على وجهه.

ـ طفل، صبي صغير.

ـ متى؟.

ـ مع جيريمي. كنا متزوجين، ولدت أليكسي بعد أكثر من عام من زواجنا.

- ثم؟.
- فقدته.
- هل ولد ميتاً؟.
- لا.

ارتجفت، تجمدت، وهي تتساءل كيف سيمكنها النطق بتلك الكلمات... إنها لا تريد أن ترى أليكسي.. لا تريد أن تملأ تلك الصورة المروّعة رأسها مرة أخرى. وعادت تتابع «لقد ولدته وأحببته وربيته، كنت آخذه إلى حيث أعمل، احتفلت بعيد ميلاده الأول، ثم...».

- ثم ماذا يا أليسيا؟.

وأخذ كريستوس يهزها بعنف، فارغ الصبر متلهفاً لسماع البقية.

- لقد قتلته.

* * *

١١ ـ كلنا نخطأ

لم يستطع كريستوس أن يصدّق ذلك، طلب إعادة القصة مرة بعد مرة، متجاهلاً شهقاتها، غافلاً عن عذابها، ملحاً عليها بإعادة إيضاح كل شيء مرة أخرى ومنذ البداية.

جاهد لربط أحداث ماضيها معاً. لقد هربت مع جيريمي بعد تعرفها إليه في باريس. تزوجا ظناً منهما أن بإمكانهما أن يعيشا من الرسم. هذا الجزء من ماضيها كان مفهوماً. كان واضحاً، ولكن بقيته...

- أرجوك يا كريستوس، لا تطلب المزيد...

رآها منكمشة على السرير والتعاسة تبدو عليها، لكنه لم يشعر نحوها بشيء:

- كيف غرق الطفل؟.
- في الماء... في الحمام...
- قلت في حوض المطبخ.
- نعم، في الحوض. كان يستحم.
- لا، لم يكن يستحم، بل كنت تغسلين جسده.
- نعم.
- وماذا حدث؟.

www.elromancia.com

- غرق.

- كيف؟.

- أنت تعرف كيف؟ انكسر كرسيه الصغير، كما أظن، أو ربما لم يكن على كرسيه.. نسيت يا كريستوس. كان ذلك منذ مدة طويلة.

- مدة طويلة جداً، خمس سنوات.

أغمضت عينيها، وهمست:

- دعني أذهب، دعني أذهب، دعني أذهب.

- أريد أن أسمع هذا، أريد أن أعرف كيف تركت ابنك يغرق.

- لا أستطيع أن أخبرك.

- بل تستطيعين، وستفعلين ذلك.

تقدم نحوها وقد اسودّ وجهه غضباً.

- هل رن جرس التليفون حينذاك؟ هل طرق أحد الباب؟ كيف نسيته إذن؟.

- كفى!.

- كيف استطعت القيام بذلك؟ كيف استطعت أن تدعي طفلك يغرق؟.

- كنت أرسم!

صرخت بذلك بصوت مرتفع وكأنه زجاج يتحطم «كنت أرسم».

فسألها مبهوتاً:

- كنت ترسمين؟.

- قتلت أليكسي لأنني كنت مضطرة إلى أن أرسم.

* * *

جاء الطبيب، وكذلك والدا كريستوس، وكانت أليسيا مستلقية متكورة حول نفسها في غرفتها المعتمة، لا تريد أن تأكل أو تشعل

الضوء. كانت تريد فقط أن تترك وشأنها.

لكن الأصوات كانت مسموعة من خلال بابها المغلق، تمتمة وصراخاً... إلحاحاً من كريستوس واشمئزازاً في صوت أمه.

بعد ذلك بفترة، دخل الطبيب الغرفة. وبالرغم من احتجاجها أشعل الضوء وأخذ يجري لها الفحوصات. كان فحصه لها شاملاً وباختصار. فحص صدرها ونبضها مرة أخرى. وأخيراً سألها عما إذا أخذت أية أدوية أخرى مؤخراً، باستثناء حبوب منع الحمل.

اجابته بجمود: «لا».

فهي تريد منه أن يذهب فقط، تريد أن تبقى وحدها مرة أخرى.

لكن الطبيب لم يتحرك.

- فهمت أنك كنت في مستشفى في سويسرا، هل كنت تتعاطين شيئاً ما حينذاك؟.

- فقط عندما فحصوني في المستشفى لأول مرة... وكان ذلك مهدئاً... فقد انهرت أثناء الجنازة.

هزت كتفيها باسترخاء.

لم يتكلم الطبيب.. رفعت رأسها فتلاقت أعينهما. توقعت تغيراً في المشاعر في وجهه، لكنها لم تجد سوى الشفقة. وفجأة اغرورقت عيناها بالدموع وأخذت تتوسل إليه أن يذهب. فقال:

- عليك أن ترتاحي.

- لا أريد أن أنام.

جلس الطبيب على السرير إلى جانبها.

- كل شخص معرض للخطأ.

- حرق الخبز أثناء تحميصه هو ما نسميه خطأ.

- وقد يرتكب أناس طيبون جداً أخطاء مأساوية.

- ليس بهذا الشكل.

وفاضت دموعها فمنعتها من الرؤية بوضوح، كل نفس تنفسته كان عذاباً لها. كل حرقة في قلبها ذكرتها بما أخذته من طفلها.

ـ لقد أحببته.

وشهقت: «أحببته أكثر مما كنت أحب نفسي، ومع ذلك انظر ماذا فعلت...».

في غمرة حزنها، لم تسمع صوت انفتاح الباب، أو تلاحظ وقوف كريستوس صامتاً عند العتبة. لم تسمع عندما عاد فخرج من الباب بصمت، مغلقاً الباب خلفه.

قال الطبيب بهدوء، وهو يعيدها إلى الاستلقاء برفق، مريحاً إياها على الوسائد.

ـ يجب أن ترتاحي الآن، وغداً ستتحدث عن المستقبل.

* * *

استيقظت أليسيا في غرفتها وقد أزيحت الستائر جانباً، للسماح لأشعة الشمس الدافئة بالدخول. شعرت برأسها ثقيلاً، وذهنها مشتتاً. نزلت من السرير ببطء، وتوجهت مترنحة، إلى الحمام.

ألقت نظرة على نفسها في المرآة، وجه شاحب وعينان داكنتان غائرتان، وشفتان بيضاوان. بدت أشبه بجثة. ثم، فجأة، رأت أليكسي... كان يطفو في الماء ووجهه إلى أعلى، وعيناه مفتوحتان وفمه أيضاً ويداه الصغيرتان ممتدتان.. تخلخلت ركبتاها وهي تصرخ، بسبب فيض الذكرى.

اندفعت إليها امرأة متشحة بالسواد، عرفت أليسيا فيها السيدة باتيراس التي أخذتها بين ذراعيها، ثم قادتها بحزم من الحمام إلى فراشها.

دفعت أليسيا لتجلس، وهي تتمتم باليونانية، ثم ناولتها كوب شاي:

ـ اشربي.

فارتجفت يدا أليسيا وهي تمسك بالفنجان الساخن.

ـ كريستوس؟

همست باسمه، مشتتة الذهن لحدة مشاعرها وإدراكها أنها ربما فقدت كريستوس إلى الأبد.

أجابتها السيدة باتيراس ببرود: «رحل».

ـ إلى أين؟

دست المرأة ساقي أليسيا تحت الغطاء، وجذبت عليها الملاءة، ثم قالت باختصار:

ـ أعماله.

ـ أين؟.

ـ في اليونان، عمل يتعلق بالسفن.

سفن... هناك السفن دوماً.. اتفاقيات، ربح وخسارة. واغرورقت عينا أليسيا بالدموع. كيف تسير الحياة بهذا الوضوح بينما تعيش هي في الظلال؟

إنها مشتاقة إلى كريستوس، بحاجة إلى أن تراه، أن تتحدث إليه. إنه الشخص الوحيد الذي وثقت به، وهي الوحيد الذي أحبته أكثر من كل شيء.

ـ متى سيعود؟.

ـ لا أدري.

ـ أريد رقم تليفون مكتبه في «مانهاتن».

فأجابتها المرأة بحدة:

ـ إنه ليس هناك، لقد سبق أن أخبرتك بذلك، والآن ارتاحي، وإلا سأخبر كريستوس كم أنت عنيدة وصعبة.

بعد خروج السيدة باتيراس شعرت بالغرفة باردة والزوايا سابحة

في الظلال. كم كانت عنيدة صعبة، إنها كلمات اعتاد أبوها أن ينعتها بها. أليسيا الصعبة، ولكن هل كانت صعبة حقاً إلى ذلك الحد؟ وهل الرغبة في أن تكون محبوبة هو شيء سيء؟

أغمضت أليسيا عينيها لكنها لم تستطع النوم، فقد استغرقتها الذكريات، وشتت ذهنها الزمن، كيف أدارت ظهرها إلى أليكسي؟ كيف نسيته؟

لم تفهم، فقد كانت أماً طيبة، أو حاولت ذلك على الأقل.. لم تكن تدعه يجلس قط بحفاض مبتلّ. لم تكن تزعج غفواته أبداً، ولم تكن تتركه طويلاً في الشمس. كانت صغيرة حقاً، لكنها كانت تحاول جهدها.

إلى أن حل ذلك اليوم... ذلك النهار...

وها هي منذ ذلك الحين تشعر بثقله، بجسمه الرخو وهي تجذبه من الحوض. لقد حملته راكضة في الشوارع وهي تصرخ، رباه... ساعدوني... ساعدوا طفلي... ساعدوا طفلي.

ويوم الجنازة حطمت حامل رسومها ولوحاتها... وأقمشة الرسم، ومزقت رسومها بالمقص، مزقتها شرائح كامرأة مجنونة.

وعندما دمّرت كل أعمالها أخذت تولول، فتجمّع الجيران على صياحها. ثم جاءت الشرطة. حينذاك أعطوها حقنة للتهدئة، وأخذوها إلى المستشفى في «بيرن» في سويسرا.. قالوا إنها كانت تهذي، لكن ذلك لم يكن هذياناً. بل كانت تبكي أليكسي، وتعده بألا تنساه أبداً، وألا ترسم بعد ذلك أبداً. وقد حفظت ذلك الوعد.

استيقظت أليسيا لتستحم وتأكل، وكانت السيدة باتيراس موجودة، تترأس المنزل وتشرف على طعام أليسيا، وحبوب الحديد التي تتعاطاها، محددة النظام، موضحة أنها هي سيدة المنزل وليس أليسيا.

لم يكن لدى أليسيا القوة على الجدال، لكنها كانت تجاهد لجمع خيوط الماضي، متسائلة عن الثغرات في ذاكرتها، رغم خوفها من استعادة آلامها. ولكن كان هناك ثغرات كثيرة في ذاكرتها، وأماكن غير متلائمة ولا مفهومة.

ولكن الآن، وقد استيقظ لديها الشعور بالذنب تماماً، لم تستطع أن ترتاح، ولا أن تجد السكينة، شعرت بالنار تحرق جوفها، والجحيم تستعر فيه.

والاستلقاء في السرير كان لا يزيد الأمر إلا سوءاً.. عليها أن تعود إلى أن تشغل نفسها. إنها بحاجة إلى التريض، ونور الشمس، وبحاجة لعمل تقوم به.

في اليوم الثالث لذلك الاعتراف الفظيع، نزلت أليسيا إلى الطابق الأسفل لتتناول طعام الفطور. ابتسمت لها السيدة أيقري مسرورة، لكن السيدة باتيراس سدّت أمامها باب غرفة الطعام، قائلة بحزم:

ـ قال الطبيب إن عليك أن ترتاحي.

شعرت أليسيا بالتوتر، فلم تكن تريد أن تتشاجر مع حماتها، لكنها لم تعد تريد أن تبقى جالسة، شاعرة بالأسى على نفسها، فما حدث قد حدث والحزن لن يعيد إليها أليكسي.

ـ أنا شاكرة لك ما تقومين به لأجلي، يا سيدة باتيراس، لكنني أظن أن الوقت حان لكي أتصرف كأي امرأة طبيعية مرة أخرى. اختبائي في غرفتي لن يعيد أليكسي ولن يساعدني على النسيان.

ـ هناك أشياء لن تنسيها أبداً.

رأت نظرات السيدة باتيراس الحاقدة فتوترت في داخلها، لكنها لم تتراجع:

ـ كانت تلك غلطة.. غلطة رهيبة، لكنني لن أدع الحياة تهزمني، فأنا أحب كريستوس...

- إنه لا يحبك، وكيف يمكنه ذلك؟.

من هذا بالذات كانت تخاف.. ترنحت أليسيا وحدّقت إلى الكراسي والباب الخارجي خلفها، ثم أدارت ظهرها إلى طريق الهرب. لا.. لا مهرب. عليها أن تواجه نفسها، والمستقبل.

أجابت وهي تبدو أكثر هدوءاً بكثير مما تشعر: «هذا ليس من شأنك. هذا الأمر بيني وبين ابنك».

دخلت مدبرة المنزل إلى المطبخ بينما تقدمت السيدة باتيراس خطوة نحوها وهي تشير بإصبعها متهمة:

- ابني يستحق امرأة أحسن منك. إنه يستحق امرأة حقيقية.

- وأنا امرأة حقيقية، كل ما في الأمر أنني اقترفت غلطة شنيعة.

- أنت قتلت ابنك، وهذه ليست غلطة، إنها جريمة.

- لا يمكنني تغيير الماضي، ولكن بإمكاني أن أتعهد لكريستوس بالوفاء والحب.

- أتعتقدين حقاً أن ابني سيكون سعيداً معك؟ أتظنينه سيثق بك في حياته؟.

كانت السيدة باتيراس على حق، كما أدركت أليسيا وهي ترتجف، فهي لم تكن تفكر في ما يحتاجه كريستوس، بل ما تحتاجه هي فقط. كريستوس يستحق السعادة، فهو رجل محب طيب، وهو يستحق زوجة يمكنه أن يثق بها.

ابتعدت أليسيا شاعرة بالغثيان واتجهت إلى السلم مسرعة بالعودة إلى غرفتها. وفي غرفة ملابسها أنزلت ملابس من الخزانة، تنورة طويلة رمادية وسترة فضفاضة من الكشمير بلون فاتح.

تبعتها حماتها إلى غرفة النوم، قائلة: «إذا كنت عاقلة فارحلي الآن، قبل عودته، يمكنه أن يلغي عقد الزواج بك ثم يتزوج زواجاً صحيحاً».

- أرحل!

واختنقت أليسيا وهي تواجه غرفة ملابسها وقد خذلها صوتها. بينما تابعت المرأة: «أنا لا أريدك هنا ولا أحتاجك، ارحلي الآن، من فضلك».

- أمي... ارحلي الآن، أرجوك.

وظهر كريستوس في العتبة، وعلى ذراعه معطف قاتم، وفي يده حقيبة أوراق. كان يبدو مرهقاً ومتألماً.

- لقد سمعتك يا أمي طوال الطريق من المطبخ. ليس لديك الحق في أن تتكلمي مع زوجتي بهذا الشكل...

- زوجتك؟ إنها ليست زوجة...

فقاطع أمه بصوت نادراً ما كان يرتفع:

- إنها زوجتي وأنا أحبها كثيراً، إذا كنت لا تحبينها فأنت إذن لا تحبينني لأن أليسيا هي قلبي. إذا تكلمت معها بهذا الشكل مرة أخرى، فسأقاطعك إلى الأبد. هل فهمت؟.

حدّقت السيدة باتيراس في ابنها الوحيد مصعوقة، فاغرة الفم. ثم هزت رأسها ببطء وغضب قبل أن تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها.

رفع كريستوس كمي قميصه، وهو يقول:

- آسف... آسف لأنها تحدثت معك بهذا الشكل، أنا آسف لعدم تمكني من العودة قبل الآن.

وقفت أليسيا جامدة مكانها وقد منعها القهر والذهول من الكلام. السترة الكشمير تدغدغ عنقها والتنورة الطويلة تشعر بها خشنة على ذراعها العارية. شمت نفحة من العطر من السترة ذكرتها بالربيع.

قال بملامح متوترة: «كان عليك أن تتصلي بي. فقد تركت لك أرقام تليفوني مع أمي».

لم تجد فائدة من أن تخبره بأن أمه لم تعترف بذلك. ابتلعت ريقها وشدت ملابسها على معدتها.

- أين كنت؟

نظر إلى وجهها وتلاقت أعينهما:

- ذهبت إلى باريس.

فسارت إلى الأريكة مترنحة وجلست: «باريس؟».

- ثم إلى لندن حيث تحدثت مع أناس كثيرين؛ أناس اشتغلت أنت لديهم في باريس، كما تحدثت إلى الشرطة هناك، ثم ذهبت إلى جيريمي الذي يعيش الآن في لندن في شقة صغيرة قذرة تطل على نهر التايمس.

جيريمي حي، وبصحة جيدة. جيريمي في شقة قذرة قرب النهر، لكنها لا تريد أن تفكر فيه. لا تريد أن تتذكر الحزن الذي شملهما، لقد دمّر جيريمي حياتها مرة، ولن تدعه يدمّرها مرة أخرى.

- لا أريد أن أتحدث عنه.

- أنت مضطرة لذلك.

- لا أستطيع، يا كريستوس، لا أستطيع، أرجوك... لقد أخبرتك بكل شيء.

- لا، ليس بكل شيء. لقد نسيت الحقائق، يا أليسيا، لقد غيرتها.

شعرت بوخزة خفيفة: «ماذا تعني».

سار نحوها وجلس بجانبها، جاذباً من بين ذراعيها الملابس.

- لقد حان الوقت لكي نتحدث عما حدث حقيقة عصر ذلك اليوم في الشقة.

- لقد أخبرتك بما حدث.

- لكن ذلك ليس ما حدث. انظري إليّ، يا أليسيا. انظري إلى

وجهي.

وانتظر حتى رفعت بصرها وتلاقت أعينهما. فقال بهدوء: «لقد غرق الطفل، لكن الذنب ليس ذنبك، فأنت لم تكوني موجودة حتى. لقد اختلطت الوقائع في ذهنك بشكل ما، الحزن والشعور بالذنب. عليك أن تتذكري كيف حدث الأمر حقيقة، وليس القصة التي أخبرتني بها».

لم تستطع أن تتكلم وتصارع الذعر والأمل في نفسها، ولكن عندما جرؤت على الأمل، تذكرت الحقيقة، حقيقة أن أليكسي مات، أليكسي هو ميت، طفلها. كان طفلها، وكان ذلك ذنبها هي.

وتابع كريستوس يقول: «كان جيريمي هو الذي يراقبه، وعندما غرق أليكسي لم تكوني في البيت، كنت ترسمين...».

حاولت أن تنهض لكن كريستوس أمسك بها من خصرها، يعيدها إلى الجلوس، حيث أحاطها بذراعيه يشدّها إلى صدره:

- كنت تحبين طفلك، يا حلوتي أليسيا، أحببته أكثر مما يحب أي شخص طفلاً، ولم تخطئي بحقه.

- كان يجب أن أكون هناك، لو كنت هناك لما غرق، ما كنت لأغفل عنه ولو برمشة عين، ما كنت لأدير ظهري إليه لحظة، ولا بأي ثمن.

- أعرف، أعرف أيّ أم جيدة كنتها، لقد أخبرني أصدقاؤك بذلك، أخبرني جيرانك، وأخبرني رجال الشرطة. وهذا ما جعل هذا الأمر مأساة، لقد فعلت ما بوسعك...

- ولم يكن ذلك كافياً.

أخذ يمرّ بيده على ظهرها، مداعباً خصلات شعرها الحريرية:

- كان جيريمي يشرب، ادعى أنه نسي مرور الوقت.

- كان يشرب كثيراً.

همست بذلك بألم. كان فظيعاً، فظيعاً جداً أن تعود فتتذكر مرة بعد مرة.

ـ لم يكن سعيداً.

قالت هذا وقد تذكرت مرارته حين عرف أن أباها قاطعها، وأنه لن يحصل على نقود وافرة أو مساندة مالية. لقد تزوجها لأجل ثروتها فلم يجد شيئاً.

ـ ولكن هل كنت أنت سعيدة؟

انقبض قلبها وشعرت بغصة:

ـ كان لديّ طفلي، ولهذا لا أستطيع أن أنجب أطفالاً، وأمك على صواب، زواجنا لن ينجح. يجب أن تعيد المال إلى أبي، وتبحث لنفسك عن عروس حقيقية.

ـ أنت عروس حقيقية، أنت عروسي.

ـ لكن البائنة...

ـ لم تكن هناك بائنة، لأن أباك أفلس.

ـ أفلس؟.

ـ ودفعت عنه ديونه، فتخلص من دائنيه، ومنحته عملاً صغيراً في سويسرا ليعتاش منه.

فتحت فمها ذاهلة: «أتعني أن ليس لدي ميراث؟ ليس لدي شيء؟».

فلوى شفتيه: «لا شيء سواي. أنا آسف، يا أليسيا. كنت أحاول أن أجد طريقة أخبرك بها بالأمر، لكنني لم أعرف كيف أخبرك».

شعرت ببهجة بالغة، إنها بشارة حقاً. فقد كانت تكره أموال أبيها.. لم ترغب في أمواله قط. كانت تريد حبه فقط.

سألته متشككة: «لا أظن أن أبي سيعيد إليك مالك».

ـ لا، ولا أريد أن أستعيدها، لأنني لن أتركك. لقد انتظرتك عشر سنوات. فقد رأيتك لأول مرة في أثينا منذ عشر سنوات، أثناء اجتماع لأصحاب السفن. يومذاك كنا مجتمعين في غرفة الاجتماع فقاطعت أنت الاجتماع لتلقي على أبيك سؤالاً...

فسألته بصوت خافت: «هل كنت هناك؟».

فتوتر فكّه: «نعم، وكرهت ما فعله بك، كرهت معاملته لك، لقد أقسمت عند ذلك، في ذلك المكان، أن أبحث عنك وأتزوجك، وقمت بصفقة مع أبيك، ولكن كان ذلك لأجلك ولأجلي. كنت أعلم أن بإمكاني أن أجعلك سعيدة، وسأفعل».

ـ كيف يمكنك أن تثق بي بعد أليكسي؟ وأمك؟ إنها تكرهني.

ـ أنا لست بحاجة إلى موافقتها، ولا يهمني ما يظنه الآخرون، فأنا أحبك وأريد أن أعيش معك، وهذا هو المهم فقط.

ـ كما أن ليس لدي أي ميراث.

ـ لا، أنت الآن أفقر من فأر الكنيسة.

ـ هذا شيء رائع للغاية.

واغرورقت عيناها بالدموع، دموع خالطها شيء من الضحك، فلأول مرة منذ سنوات، تشعر وكأن بإمكانها أخيراً أن تتنفس... لا ميراث، ولا مظاهر، ولا واجبات... هناك حب فقط، وأمل.

ـ وهل تحبني حقاً؟

نظر في أعماق عينيها، والمشاعر تفيض من عينيه: «من كل قلبي وروحي».

ـ قلها مرة أخرى.

ـ من كل قلبي، وعقلي، وجسدي، وكل روحي. لقد خُلقت لأجلك، لأحبك أنت، وأنت فقط.

ثم قبلها، موقفاً أي احتجاج، مسكتاً أي نقاش أو تأمل، تاركاً

المشاعر وحدها تتكلم.

استيقظت في الصباح التالي وهي مستكينة إليه. كان الوقت ما يزال باكراً، إذ لم يبلغ السادسة بعد. وكان أول ما فكرت فيه هو أليكسي. ولكن بدلاً من إنكار وخزة الألم التي شعرت بها، تنفست بعمق ثم أخذت تتلو صلاة لروحه.

كانت تحبه ودوماً ستحبه، وعندما أنهت الصلاة، شعرت بموجة من سكينة النفس تغمرها. وغمرها السلام دافئاً مشرقاً جاعلاً عينيها تفيضان بالدموع.. لكنها، هذه المرة، كانت دموع السعادة والارتياح.

ـ أليسيا؟

تحرك كريستوس وأحاط خصرها بذراعه يشدها إليه: «ماذا حدث؟».

ـ كنت أصلي لأجل أليكسي. ولكن لا بأس، فأنا أؤمن الآن أنه بين يدي الله الذي أدين له بجعل حياتي أفضل، وأكثر أهمية. أدين له بجعلي قوية.

ـ ما دمت حية، أليكسي حيّ معك في قلبك وأفكارك.

ـ إذن يجب أن أعيش حياة طويلة جيدة ولا أنسى أبداً البركة التي منحنا إياها الله.

وشعرت بغصة، فدفنت وجهها في كتف كريستوس، نابذة الغضب والشعور بالذنب والعار.

بكت لأجل أولئك الذين أحبتهم وبكت لأجل أولئك الذين فقدتهم، وبكت أيضاً للعلاقة التي لم تحصل بينها وبين أبيها قط.

احتضنها كريستوس، لكن الدموع جفت في النهاية، وشعرت بالإرهاق فرفعت وجهها المبلل إليه:

ـ آسفة. كان ذلك مخيفاً نوعاً ما.

مدّت يدها إلى منديل ورقي تمسح وجهها، فقبل جبينها وطرف أنفها وفمها.

ـ هذا ما كنت بحاجة إليه، الحزن، الحب، الشعور، خصوصاً الشعور. لا يمكنك أن تعيشي مغلقة المشاعر، فأنت لست إنساناً آلياً، بل أنت امرأة حساسة رائعة الجمال وذكية.

وعاد يقبلها فارتجفت شفتها بينما تابع يقول: «يمكنك أن تتحدثي معي عن أليكسي متى شئت، وإلى أي شخص آخر أيضاً».

ضغطت وجنتها على صدره، تستمع إلى خفقات قلبه.

ـ أنت تمنحني الأمل.

ـ صدقي إذن، يا أليسيا، صدقي أننا سنعيش معاً حياة رائعة، حياة جديدة ستكون أفضل من حياتنا التي عشناها.

ـ هل هذا ممكن؟.

ـ أنا أعرف أنه ممكن.

ـ وكيف تأكدت من ذلك؟.

ـ أنا أعرف فقط، كما عرفت في ذلك اليوم في أثينا، أنني سأعثر عليك مرة أخرى وأجعلك زوجتي. لقد خلقت لأحبك وسأفعل ذلك، دوماً.

* * *

الخاتمة

ـ حذار، انتبه.

نادت أليسيا وهي تقفز من المقعد الرخامي، مظللة عينيها متابعة بقلق طفلاً كان يدرج نازلاً على الممر الضيق نحو بركة صيد السمك.

ـ هيا.

وضحك كريستوس وهو يرفع الصبي الصغير ذا الكنزة البحرية على كتفيه:

ـ أنا أعرف إلى أين كنت ذاهباً.

ـ أصطاد السمك.

صاح بذلك «نيكوس»، البالغ سنتين من العمر، وهو ينخس أباه على أذنه بإصبعه، مكرراً بلهجته الطفولية: «أريد صيد السمك».

صعد كريستوس الممر عائداً مع الطفل إلى المقعد في الظل، حيث وقفت أليسيا ممدودة الذراعين لتأخذ الصبي العائد.

واستقر نيكوس بين ذراعيها سعيداً وأخذ يربت على وجهها ويقبل خدها:

ـ ماما.

فهفا قلبها: «نعم، ماما تحبك».

صاح الطفل بحماسة وهو يربت على وجه أمه: «نيكوس يحب صيد السمك».

ـ لا تضرب ماما.

قال كريستوس هذا بمثل لهجة الطفل ومدّ يده ليلمس يد نيكوس الصغيرة عابثاً بالأصابع الرقيقة بلطف. فقال نيكوس مرة أخرى وهو يقبل خدّها:

ـ ماما.

رفعت أليسيا رأسها فتقابلت نظراتها بنظرات كريستوس.

ـ أنا بخير.

همست بذلك حتى عندما تحرك الطفل في بطنها، بعد أسابيع فقط سيكون هناك عضو جديد في أسرة باتيراس في ذلك المنزل الريفي الجميل.

انحنى كريستوس يطبع قبلة على شفتيها المرتفعتين نحوه:

ـ ما أجملك، خصوصاً الآن.

ـ أنت أعمى.

ـ لست أعمى وإنما غارق في الحب.

وقبلها مرة أخرى من فوق رأس نيكوس:

«ما الذي جعلنا محظوظين بهذا الشكل؟».

ابتسمت بينما اغرورقت عيناها بالدموع، وطفح قلبها سعادة وحباً لكريستوس. ما زالت البهجة التي تجدها معه تذهلها:

ـ لا أدري، إنها معجزة.

* * *